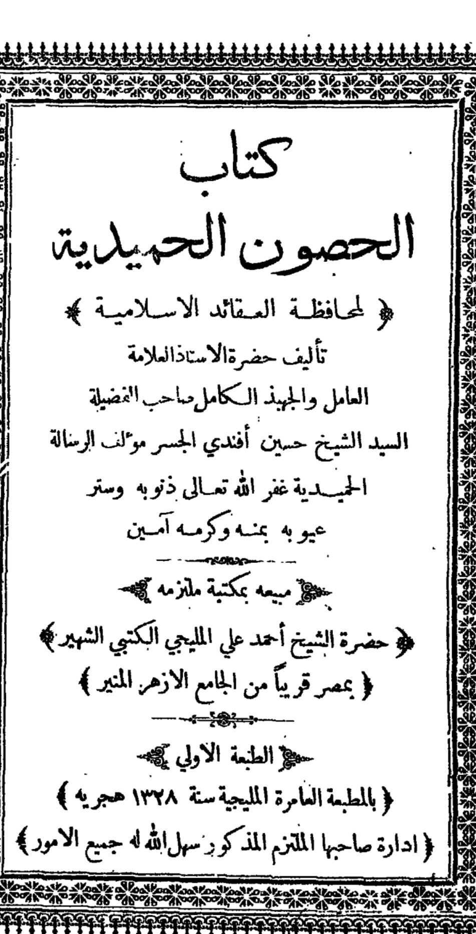




كتاب
الحصون الحميدية

﴿ لمحافظة العقائد الاسلامية ﴾

تأليف حضرة الاستاذ العلامة
العامل والجهبذ الكامل صاحب الفضيلة
السيد الشيخ حسين أفندي الجسر مؤلف الرسالة
الحميدية غفر الله تعالى ذنوبه وستر
عيوبه بمنه وكرمه آمين

﴿ مبيعه بمكتبة ملتزمه ﴾
﴿ حضرة الشيخ أحمد علي المليجي الكتبي الشهير ﴾
﴿ بمصر قريباً من الجامع الازهر المنير ﴾

﴿ الطبعة الاولى ﴾
﴿ بالمطبعة العامرة المليجية سنة ١٣٢٨ هجريه ﴾
﴿ ادارة صاحبها الملتزم المذكور سهل الله له جميع الامور ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين * والصلاة والسلام علي سيدنا محمد أشرف المرسلين *
وعلى آله وصحبه أجمعين ﴿ أما بعد ﴾ فيقول الفقير الحقير الراجي من الله
غفران الوزر * عبده حسين بن محمد الجسر * الطرابلسي عفا الله عنه * انه
من المعلوم المسلم عند كل مطلع على تاريخ الأمة المحمدية أن ايمان أهل الاسلام *
بجميع ماجاء به الرسول عليه الصلاة والسلام * كان فى عصره عصر السعادة مستندا
للقرآن الشريف * وحديث الرسول المنيف * مؤيداً بأدلة العقل السليم * الناهج
فى المنهج القويم * خالصا من شوائب الشبه والأهواء * سليما من غوائل الاغاليط
واختلاف الآراء * فلذلك كانت ثمراته يانعة * وزواهره ساطعة * فكنت
ترى أفراد الأمة محافظين علي اقامة العبادات * وانتظام شأن المعاملات * ممتثلين
للأوامر * منتهين عن المناكر * متحلين بأخلاق الدين الحسنة * وآدابه المستحسنة *
لأنه متى طاب الأصل طابت الفروع * وعذوبة الماء تنشأ عن صفاء الينبوع *
وقد دام ذلك في المسلمين * وجماعة الموحدين * الى أن أمر أحد الخلفاء
العباسيين بترجمة كتب الفلاسفة المتقدمين الى اللغة العربية * وانتشرت تلك
التراجم بين الأمة الاسلامية * ونشأ من الاطلاع عليها شبه زعزعت ايمان
ضعفاء المسلمين * ومن ليس عندهم تمكن في معرفة أصول دين سيد المرسلين *

فانبرى عند ذلك علماء الامة المحمدية وأئمتها الاعلام * المتمسكون بما كان عليه المصطفى وأصحابه عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام * يردون القلوب الشوارد * ويدفعون تلك الشبه بما يرغم أنف كل معاند * حتى رأيت كتبهم مزدانة بالدلائل القطعية * على إثبات العقائد الدينية * وصادعة بردود الشبه التى كانت على الضعفاء أعظم بلية * فحفظ الله تعالى بصنيعهم ايمان الامة من الغوائل * وحصنه من صدمات الشبه بأقوى الدلائل * وقد استمر الحال * على هذا المنوال * الى أن ظهرت في هذه العصور الأخيرة * الفلسفة الحديثة * التى خالف فيها أربابها طريقة أسلافهم الفلاسفة المتقدمين * واعتمدوا فى ذلك أصولاً في الرياضيات والطبيعيات لم تكن تعرف قبل هذا الحين * وانتشرت هذه الفلسفة بواسطة المطبوعات بين أهل الاسلام * ونشأت عنها شبه لم تكن معهودة فى غابر الاعوام * وصار كل عاقل يخشى على إيمان الضعفاء من غوائل هذه الشبه الجديدة * فتجدد الاحتياج الي استئناف الردود السديدة * وتأليف كتب فى حفظ الايمان مفيدة * ولما منّ الله تعالي على أهل هذا العصر * بخليفة رفعت لجلالته ألوية الشرف والفخر * ونشرت لحضرته رايات العز والنصر * وسار فى اصلاح الرعية سيرا عجيبا * وسلك في نجاح البرايا سلوكا غريبا * وقام علي أقدام الاقدام * ونشر منشور فضله على عموم الأنام * وصرف أوقاته لنفع الخاص والعام * وبسط بساط المراحم لكافة تبعته * وأفاض فيوض المكارم على جميع صنوف رعيته * ألا وهو ثاني القمرين * ومحيي سنة سيد الكونين * ناصر الشريعة الغراء * ورافع لواء المحجة البيضاء * سلطان سلاطين العرب والعجم * ومعيد ما اندرس من آثار سالف الامم * الخليفة الاعظم * والخاقان الأفخم * السلطان ابن السلطان السلطان الغازى (عبد الحميد) خان ابن السلطان

الغازي عبد المجيد خان نصره الله تعالي وأدامه * ورفع على ذروة الخافقين بالفتح المبين أعلامه * وجه عنايته حفظه الله تعالي الي أحوال العلوم والمعارف * وألفت الطرف الي شؤون الفضائل والعوارف * فرآها بلسان الحال تشكو لجلالته * وتطلب إحياءها بلحة من أنظار دولته * فرثي لحالها * وأصغي لمقالها * وسمع دعواها * ولبي شكواها * فشيد لها المكاتب والمدارس * وأحضر لها من الكتب والرسائل أنفس النفائس * وساق اليها المعلمين من أقطار الارض * وأمر باحياء دارسها واطاعة أمره فرض وأي فرض * فقرئ فيها من العلوم والفنون * مايسر القلب المحزون * ولم تزل المعارف تنشر فى البلاد * وتتضاعف ثمراتها وتزداد * حتى استنقذت شبان الرعية من ظلمات الجهل * ونورت أفكارهم بأنوار العرفان والفضل * وقد علت بذلك هممهم * وازدادت بحسن معارفهم قيمتهم * الا أن ماأحدثته الفلسفة الحديثة التي نقلت الينا علي متون المطبوعات * من غوائل الشبهات * قد يخشى منه زيغ عقائد شبان ضعفاء الامة ووقوعهم في الضلالات * فكان المطابق لرضائه العالي * والموافق لرأي جلالته السامى * تأليف كتاب مختصر يشتمل على تقرير العقائد الاسلامية * ببراهينها العقلية * ويتكفل بدفع تلك الشبه التى حدثت من الفلسفة الجديدة * وسواها من الاغاليط المضرة بالعقيدة * مع بيان ما يقضي بجلب قلوب شبان المسلمين * لمحبة الدين المبين * والتعشق لحضرة سيدنا محمد سيد المرسلين * صلوات الله وسلامه عليه وعلي آله وصحبه أجمعين * عسى أن تعم قراءته في جميع المكاتب السلطانية * والمدارس الشاهانية * محافظة علي عقائد تلامذتها من أهل الملة الاسلامية * والشريعة المحمدية * فوفقت لهذه الخدمة الشريفة التى ينتج عنها ان شاء الله تعالى بانظار خليفة رسول الله الخير العظيم لعموم الامة

الاسلامية وتكون حسنة من حسنات شوكته حفظه الله وغرة من غرر عصره الحميدي السعيد المؤيد بتوفيق الله تعالى فجاء كتابا يسر قلوب المؤمنين * ويقر أعين الموحدين * مشتملا علي مقدمة وثلاثة أبواب كل باب منها يشتمل علي فصول * تحتوي علي ماتمس الحاجة اليه من مهمات الاصول * وعلى خاتمة تشتمل علي بيان وجوب الخلافة فى الدين المحمدي المبين * وما لها من حقوق الاطاعة علي عموم المسلمين * وهو حقيق بأن يسمي (الحصون الحميدية * لمحافظة العقائد الاسلامية) فنتوسل الى الله تعالى بروحانية حبيبه الاعظم * صلى الله تعالى عليه وسلم * أن يؤيد عرش الخلافة العظمي بطول عمر وحياة مولانا الخليفة الاعظم * ويحفظ ذاته الكريمة ويؤيده بالنصر المكين * والفتح المبين * اللهم آمين





(المقــــدمة)

وهي تشتمل علي أربعة أبحاث

البحث الاول في تعريف علم التوحيد وثمرته وفضله وافتراض تعلمه على كل مكلف

إعلم أن علم التوحيد هو علم يبحث فيه عن اثبات العقائد الدينية بالأدلة اليقينية وثمرته هي معرفة صفات الله تعالى ورسله بالبراهين القطعية والفوز بالسعادة الابدية وهو أصل العلوم الدينية وأفضلها لكونه متعلقا بذات الله تعالى وذات رسله عليهم الصلاة والسلام وشرف العلوم بشرف المعلوم وقد جاءت به جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام من لدن سيدنا آدم الى سيدنا محمد عليه وعليهم أفضل الصلاة والتسليم ولكن لما كان الشيخ أبومنصور الماتريدي والشيخ أبوالحسن الاشعري أشهر من دون كتب هذا العلم وأقام الادلة والبراهين على رد ماقاله المخالفون شاع أنهما الواضعان له ويفترض تعلمه على كل مكلف من ذكر وأنثي ولو بأدلة اجمالية وأما معرفة أدلته التفصيلية فهي فرض كفاية اذا قام بها بعض الأمة سقط الطلب عن الباقين والصحيح أن من قلد غيره فى العقائد الدينية بأن يعتقدها اعتقادا جازما لايقبل الشك والتردد يكون ايمانه صحيحا ولكنه يكون آثما بترك النظر فى الادلة ان كان قادرا على ذلك والا فلا وانما سمى هذا العلم علم التوحيد لان أشهر مباحثه البحث عن توحيد الله تعالى وهو أساس الدين

﴿البحث الثانی فی بیان حقيقة الايمان وحقيقة الاسلام﴾

إعلم أن الايمان الذي كلف الله تعالى به عباده وجعل جزاءه دخول الجنة والنجاة من النار هو تصديق سيدنا محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما علم مجيئه به بالضرورة أي اعتقاد صدقه عليه الصلاة والسلام اعتقادا جازما فيما جاء به عن الله تعالى وعلم مجيئه به يقينا مع الاذعان القلبي لذلك وذلك مثل الايمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر وافتراض الصلاة و بقية العبادات الاسلامية من الزكاة والصيام والحج على المستطيع وتحريم قتل النفس المعصومة ظلما والزنا وأمثال ذلك . والاسلام هو الخضوع والانقياد باطنا وظاهرا لما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام وعلم مجيئه به بالضرورة أي علم مجيئه به يقينا فكل من الايمان والاسلام المنجيين لا ينفك عن الآخر فكل موٴمن مسلم وكل مسلم موٴمن لان المصدق ذلك التصديق للرسول عليه الصلاة والسلام لا بد أن يكون خاضعا لما جاء به عليه الصلاة والسلام والخاضع هذا الخضوع لا بد أن يكون مصدقا ذلك التصديق . ثم ان النطق بالشهادتين وهما أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله قد جعل شرطا لازما لاجراء الاحكام الدنيوية علي الموٴمن من نحو مناكحته والصلاة خلفه والصلاة عليه ودفنه في مقابر المسلمين فاذا لم ينطق بهما لعذر كالخرس أو لم يتمكن من النطق بهما بأن مات عقب ما آمن بقلبه أو اتفق له عدم النطق بهما بعد الايمان بقلبه أيضاً فهو موٴمن عند الله تعالى وناج في الآخرة لكن من امتنع عن النطق بهما عنادا بعد أن عرض عليه ذلك فهو كافر والعياذ بالله تعالى ولا عبرة بتصديقه القلبي الذي حصل منه لان هذا الامتناع قد جعله الشرع منافيا للايمان وحكم بكفر صاحبه

﴿ البحث الثالث في بيان ما اعتبره الشرع منافيا للايمان ومبطلا له والعياذ بالله تعالى ﴾

إعلم ان الشرع الشريف نهي وحذر عن الامور المنافية للايمان وحكم بكفر من يرتكبها وان كان مصدقا بقلبه ومنقادا لما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام وذلك مثل السجود للصنم اختيارا أو الاستهانة بما عظمه الدين كالقرآن الشريف وحديث الرسول المنيف والشريعة المطهرة ورسل الله الكرام وأسمائه العظيمة وصفاته الكريمة وأوامره ونواهيه والفرائض الدينية كالصلاة والحج أو الشتم لواحد مما ذكر أو التلفظ بكلمة الكفر أو نحو ذلك فان هذا وأمثاله ينافى الايمان ويحكم علي مرتكبه بالكفر والخذلان وكذلك اذا كذب الانسان شيأ من النصوص الشرعية الثابت ورودها عن الرسول عليه الصلاة والسلام يقينا كآيات القرآن وأحاديث الرسول المتواترة عنه عليه السلام أي التي نقلها الجماعة الكثيرون الذين يؤمن توافقهم على الكذب أو استحل حراما ثبتت حرمته في الشرع قطعا وظهرت حكمة قبحه كقتل النفس المعصومة والزنا وأمثال ذلك فان ذلك الانسان يكون قد أخل بالتصديق الايماني والانقياد الاسلامي وأتى بما يبطلها ويحكم عليه شرعا بالكفر وعلي كل من كفر والعياذ بالله تعالى أن يبادر لتجديد إيمانه وإسلامه ويتوب مما ارتكبه والا فيستحق القتل فى الدنيا والخلود فى النار فى الآخرة نعوذ بالله تعالى وبه نعتصم

﴿ البحث الرابع في أحكام العقل الثلاثة وهي الوجوب والاستحالة والجواز ﴾

إعلم أنه لما كان الايمان بالله تعالى علي ماسيأتي هو معرفة مايجب لله تعالى وما يستحيل عليه وما يجوز في حقه سبحانه وكذلك الايمان ببقية مايجب الايمان به من نحو الرسل والملائكة لزم أن نبين معنى الوجوب والاستحالة والجواز العقليات

التي انحصرت بها أحكام العقل وليس له حكم سواها فنقول . أما الوجوب العقلي فهو عدم قبول الانتفاء والشيء الذي لايقبل الانتفاء يقال له الواجب العقلي مثاله كون الواحد نصف الاثنين و وجود خالق العالم فكون الواحد نصف الاثنين واجب عقلي و وجود خالق العالم واجب عقلي لايقبلان الانتفاء والعدم لكن الاول واجب عقلي بديهي لايحتاج الى دليل والثاني واجب عقلي نظري يحتاج الى دليل وأما الاستحالة فهي عدم قبول الثبوت والشيء الذي لايقبل الثبوت يقال له المستحيل العقلي ويسمى محالا أيضا مثاله كون الثلاثة نصف العشرة و وجود شريك لخالق العالم فكون الثلاثة نصف العشرة مستحيل عقلي و وجود شريك لخالق العالم مستحيل ومحال عقلي لكن الاول مستحيل عقلي بديهي لايحتاج الى دليل والثاني مستحيل عقلي نظري يحتاج الى دليل

وأما الجواز فهو قبول الثبوت والانتفاء والشيء الذي يقبل الثبوت والانتفاء يقال له الجائز العقلي . مثاله سفر زيد أو قلب الحجر ذهبا بقدرة الله تعالى فسفر زيد جائز عقلي وقلب الحجر ذهبا بقدرة الله تعالى جائز عقلي لكن الأول جائز عقلي بديهي لايحتاج الي دليل ويسمي عاديا أيضا بمعنى انه يحصل وقوعه فى العادة ولاتستغرب به العقول والثاني جائز عقلي غير بديهي يحتاج ثبوت جوازه الي دليل ويسمى غير عادي بمعنى انه يندر وقوعه في العادة أو انه لم يقع قط ولذلك تستغرب به العقول في بادئ الامر ولكن اذا بحث عنه بالدليل وجد أنه جائز الوقوع وليس مستحيل الوجود ومثله انقلاب العصا ثعبانا وانفلاق البحر وعدم حرق النار لجسد الانسان ونطق الحيوان الاعجم وأمثال ذلك فان هذه الاشياء وان كان وقوعها غير عادي لكن اذا بحث عنها بالدليل وجد انها جائزة الوقوع وداخلة تحت تصرف قدرة موجد العالم سبحانه وتعالى وأنا اذا قطعنا النظر عن

العادة لم تكن أمثال هـذه الاشياء بأغرب من خلق الانسان الذي يكون أولا ترابا ثم ينقلب نباتا ثم غـذاء ثم دما ثم نطفـة ثم علقة ثم مضغة ثم حيوانا ناطقا سميعا بصيرا ثم يصير عالما محققا وحكيما مدققا ولولا العادة لـكان من أغرب الغرائب عند العقل أن المطر ينزل علي الارض الترابية فينبت به أنواع الاشجار والازهـار والاثمـار المتنوعـة الالوان والطعوم والروائح والخواص ولولا العادة لـكان من أعجب العجائب أن شرارة صغـيرة تخرج من قدح حديدة علي حجر فتبتلع مدينة كبيرة بأهلها وجميع مافيها وتصيرهم رمادا ولولا العادة لـكان من أبعد شيء عن التصديق أن قوة غير مرئية تحصل من تفاعل بعض الاجزاء فتحرك الاجسام العظيمة وتجر الاثقال الجسيمة وتتناقل بواسطتها أفـكار البشر فى أقطار الارض الشاسعة ولجج البحار الواسعة ألا وهي القوة الـكهربائية الى غير ذلك من الـكائنات التى ماأزال غرابتها عن العقول الا تكرر وقوعها بيننا ولافرق بين هذه الاشياء العادية الوقوع و بين تلك الاشياء غير العادية الوقوع الا حصول العادة فى الاولى دون الثانية والا فاذا نظرنا في الدليل العقلي وجدنا أن كلا منهما جائز الوقوع وداخـل تحت تصرف قـدرة موجـد العالم الذي ابتدع هذه الا كوان وأودعها من الاسرار ماتحتار فيه الافـكار وليعلم أن تلك الجائزات غير العادية هي التى جعل الله تعالى وقوعها على أيدي الرسل عليهم الصلاة والسلام معجزة لهم شاهدة بصدقهم فيما يخبرون به عنه تعالي كما سيأتي شرح هذا فى المباحث الآتية إن شاء الله تعالي

﴿ الباب الأول في بيان الايمان بالله تعالى و بيان اعتقاد أهل السنة بالنصوص الشرعية الواردة فى صفاته سبحانه وفيه ستة فصول ﴾

﴿ الفصل الاول فى تعريف الايمان بالله تعالى ﴾

إعلم أن معنى الايمان بالله تعالى هو أن يعلم العبد و يعتقد اعتقادا جازما مايجب لله تعالى من الصفات وما يستحيل عليه من أضدادها وما يجوز في حقه سبحانه فيعتقد اجمالا اعتقادا جازما أنه يجب لله تعالى كل صفة كمال تليق بشأن الألوهية و يستحيل عليه تعالى كل نقص ويجوز في حقه فعل كل ممكن أو تركه ولكن يجب على العبد أن يعتقد تفصيلا بوجوب ثلاث عشرة صفة كمالية لله تعالى عليها مدار الألوهية وعظمة شأن الربوبية وباستحالة أضدادها عليه سبحانه وتلك الصفات الثلاث عشرة هي الوجود وضده العدم والقدم وضده الحدوث والبقاء وضده الفناء والمخالفة للحوادث وضدها المماثلة للحوادث وقيامه تعالى بنفسه وضده قيامه تعالى بغيره والوحدانية وضدها أن لايكون واحدا والارادة وضدها الكراهية والقدرة وضدها العجز والعلم وضده الجهل والسمع وضده الصمم والبصر وضده العمي والكلام وضده البكم والحياة وضدها الموت وكمال هذا الاعتقاد أن يكون بالبراهين المفيدة لليقين ولنشرح في الفصل الآتي بيان وجوب كل صفة من هذه الصفات الثلاث عشرة واستحالة أضدادها مع الدليل المفيد لليقين فى ذلك بعون الله تعالى

﴿ الفصل الثاني في بيان الصفات الثلاث عشرة التي يجب الايمان تفصيلا بوجوبها لله تعالي و باستحالة أضدادها مع الدليل المفيد لليقين في ذلك ﴾

﴿ الصفة الاولي الوجود ﴾ (١)

يجب لله تعالي الوجود و يستحيل عليه ضده وهو العدم والدليل علي ذلك أن هذا

العالم المشاهد لنا بجميع مايحويه حادث وكل حادث لابدله من محدث فهذا العالم لابد له من محدث أما الدليل على أن هذا العالم حادث فهو كونه ملازما للاعراض الحادثة من الحركة والسكون والصور الحيوانية أو النباتية أو المعدنية أو غيرها من الصور التى لاتخلومادة العالم وجوهره عن واحدة منها وكل ملازم للحادث يكون حادثا وتوضيحه أن هذه الأعراض حادثة بدليل أن كل واحد منها يزول ويخلفه غيره والقديم لايزول لانه اما قديم لذاته واماقديم لغيره بمعنى أن شيأ آخر قديما استلزم وجوده وما دامت ذات القديم قائمة أو الذي استلزمه قائمافلا يجوز عقلا زواله فاذاثبت كون هذه الاعراض حادثة نقول أصل مادة العالم وجوهره إماأنه كان موجودا قديما وخاليا عن أعراض وهذا باطل لأن الاعراض ملازمة له لايخلو عنها جميعها اذ لايتصور خلوه عن الحركة والسكون وجميع الصور وإما أن يقال حدث وحدثت تلك الاعراض معه فثبت حينئذ انه حادث والاعراض أيضاً حادثة فثبت أن هذا العالم بجميع مايحويه حادث وهو المطلوب وأما الدليل على أن كل حادث فلابدله من محدث فلانه لو وجد الحادث بدون محدث يلزم الترجيح بلا مرجح وهو من المستحيلات البديهية وتوضيحه لمن قد يخفى عليه ذلك أن العقل لايصدق بأن احدي كفتى ميزان متساويتين في الثقل بينما كانتا متوازنتين أو اليسري مثلا مائلة وبالغة بميلها الى الارض بسبب من الاسباب اذ رجحت اليمنى علي اليسري وارتفعت اليسري الي غاية ما يمكن من ارتفاعها وأن ذلك حصل بدون مرجح للكفة اليمنى الراجحة لابقوة حيوان ولابمصادمة هواء ولاجسم آخر سقط فيها ولا بشيء مما يصلح لترجيحها ومن يصدق بهذا عد من الحمقاء ولافرق بين هذا المثال وبين جميع ما يتصور من الحقائق سواء كانت حسية أو عقلية فى أن الترجيح بلا مرجح فيها من

المستحيل كما هو ظاهر فثبت بهذا أن وجود الحادث بلا محدث مستحيل فلا بد لكل حادث من محدث يخرجه من ظلمات العدم الى نور الوجود فتمت لنا الدعوي وهي أن هذا العالم الحادث لابد له من محدث ثم ان هذا المحدث لا بد أن يكون موجودا لان المعدوم لا يصلح أن يكون موجد الشيء كما هو ظاهر فثبت بجميع ماتقدم وجوب وجود محدث موجد لهذا العالم واستحالة عدمه وهو المطلوب من هذا البحث وقد سمي العقلاء هذا الموجد للعالم باله العالم ووردت الشرائع بتسميته باسم الجلالة وهو الله تبارك وتعالى

﴿ الصفة الثانية القدم ﴾

يجب لله تعالي القدم و يستحيل عليه تعالي ضده وهو الحدوث والدليل علي ذلك أنه سبحانه لوكان حادثا لاحتاج الي محدث ومحدثه مع فرضه حادثا يحتاج الي محدث وهكذا فيلزم إما الدور و إما التسلسل وكل من الدور والتسلسل محال فما أدى الي واحد منها وهو حدوث الله تعالي يكون محالا واذا استحال حدوثه وجب أن يكون قديما وهو المطلوب

أما الدور[٢] فهو توقف وجود كل من الشيئين علي وجود الآخر فيلزم ان كلا منها وجد قبل وجود سببه فيلزم أن يوجد قبل وجود ذاته وهو ظاهر البطلان فلو قلنا أن الاله الذي توقف عليه وجود العالم توقف وجوده علي العالم لزم أن العالم قد وجد قبل وجود الاله الذي كان سبب وجوده فيلزم أن يكون وجد العالم قبل وجود ذاته وهو ظاهر البطلان

وأما التسلسل فهو ترتب أمور وتعاقبها فى جانب الازل لانهاية لها و إنما حكم العقل باستحالته لأنه يستلزم المحال ومايستلزم المحال يكون محالا وقد ذكر العلماء لبيان استحالة التسلسل عدة أدلة نذكر منها هنا مايسهل فهمه فنقول لاشك أن العقل يحكم قطعا

بأن الشيء الذي يكون محصورا بين حاصرين لابد ان يكون متناهيا واجتماع كونه محصورا بين حاصرين وكونه غير متناه محال فلوكان التسلسل جائزا عقلا لساغ لنا أن نفرض خطين يخرجان من نقطة بصورة ساقي شكل مثلث ذاهبين الى غير نهاية فاجزاؤهما بمنزلة أمور مرتبة متعاقبة فى جانب الازل غير متناهية ثم لنا أن نفرض المسافات التى بين هذين الخطين ونعتبرهما خطوطا تمتد وتطول كلما امتد الخطان وتباعدا هكذا فاذا قلنا بعدم تناهي الخطين يلزم منه عدم تناهي المسافات بينهما التى إعتبرناها خطوطا فلابد أن تنتهي الي خط من تلك الخطوط غير متناه والحال أنه محصور بين حاصرين وهما الخطان وقد تقدم ان المقدار الذي يكون محصورا بين حاصرين لابد أن يكون متناهيا واجتماع كونه محصورا بين حاصرين وكونه غير متناه محال فما أدي اليه وهو عدم تناهى الخطين الذي فرضنا فيه التسلسل يكون محالا فبعد بيان أن كلا من الدور والتسلسل محال يثبت أن الاله الذي هو موجد العالم لايجوز أن يكون حادثا عن شيء آخر والا يلزم الدور فيما لوقلنا أن وجود الاله متوقف علي وجود العالم أو التسلسل فيما لوقلنا ان وجود الاله متوقف علي وجود شيء آخر والشيء الآخر متوقف علي آخر وهكذا الي غير نهاية وكل من الدور والتسلسل محال كما تقدم فما يؤدي الي واحدمنهما وهو كون الاله حادثا متوقفا علي غيره يكون محالا واذا استحال حدثه وجب أن يكون قديما اذلا واسطة بين الحدوث والقدم ووجوب قدمه سبحانه واستحالة حدوثه هو المطلوب

ثم بعد ثبوت قدم الله تعالي واستحالة حدوثه نقول ان قدمه سبحانه لذاته وليس قدمه لغيره بمعني أن أمرا آخر اقتضى وجوده لانه لوقيل بأنه قديم لغيره لانتقل

الكلام الى ذلك الغير ويقال هل هو قديم لذاته أو لغيره وهكذا الى غير نهاية فيلزم التسلسل وهو محال فلم يبق الا القول بأنه قديم لذاته أي أنه ليس مستندا في قدمه الي سواه

﴿ الصفة الثالثة البقاء ﴾

يجب لله تعالي البقاء ويستحيل عليه ضده وهو الفناء والزوال والدليل علي ذلك أنه قد ثبت وجوب القدم الذاتى لله تعالي واستحالة الحدوث عليه سبحانه وما دام أنه تعالي قديم لذاته وذاته تعالي قائمة وقيامها يستلزم وجودها فلا يجوز أن يقبل الفناء والزوال فثبت بهذا ان الله تعالى يجب له البقاء ويستحيل عليه ضده وهو الفناء وهو المطلوب

﴿ الصفة الرابعة المخالفة للحوادث ﴾

يجب لله تعالي المخالفة للحوادث ويستحيل عليه ضدها وهو المماثلة للحوادث بأن يكون تعالي مشابها لهذه الموجودات الحادثة في خاصة من خواصها التى من طبيعة نفسها ان تكون لازمة لها لاتنفك عنها أو من طبيعة نفسها أن تقبلها سواء كانت توجد فى جميع الانواع منها أو في بعضها وذلك كالجوهرية والجسمية والعرضية والتحيز والتركب والتجزؤ والتولد عن الغير وولادة الغير والاتصال والانفصال والحيوانية والنباتية والمعدنية والانتقال من حيز الي حيز والانفعالات النفسية كالضحك والتعجب وأمثال ذلك لان الاله سبحانه لوشابه به هذه الموجودات الحادثة في شئ من تلك الخواص لكان مثلها لأن الشئ الذي يشابه شيأ آخر في خاصة من خواصه يكون مثله ألبتة ولوكان الاله مثلها لجاز عليه ماجاز عليها من الحدوث والفناء لانه ماجاز على أحد المثلين جاز علي الآخر وقد قام الدليل علي وجوب قدمه تعالي وبقائه واستحالة حدوثه وفنائه فقد ثبت بهذا أن الله تعالى لايجوز عليه أن يشابه هذه الموجودات

الحادثة فوجب له مخالفتها واستحال عليه المماثلة لها وهو المطلوب

﴿ الصفة الخامسة قيامه تعالي بنفسه ﴾

يجب لله تعالي قيامه بنفسه ويستحيل عليه تعالى ضده وهو قيامه بغيره بمعني احتياجه الي مكان يقوم فيه أومحل يحل فيه أومخصص يخصصه أوموجد يوجده والدليل علي ذلك انه قد ثبت فى دليل المخالفة للحوادث أنه تعالي ليس جوهرا ولا جسما فلا يحتاج الي مكان يقوم فيه لأن الاحتياج الي المكان من خواص الجواهر والاجسام وثبت هناك أنه تعالي ليس عرضا فلا يحتاج الي محل يحل فيه ويقوم به كما تحتاج الاعراض مثل الالوان والطعوم الي ذلك وثبت أيضا انه تعالي قديم فلا يحتاج الي مخصص يخصصه وموجد يوجده فثبت وجوب قيامه تعالي بنفسه واستحالة قيامه بغيره وهو المطلوب

﴿ الصفة السادسة الوحدانية ﴾

يجب لله تعالي الوحدانية أى انه تعالي واحد فى ذاته وفى صفاته وفي أفعاله ويستحيل عليه ضدها وهو أن لا يكون تعالي واحدا فيما ذكر بأن يكون مركبا في ذاته أو فى صفاته أو يكون له مماثل في ذاته أو في صفاته أو له مشارك فى خلق فعل من الأفعال

أما الدليل على انه تعالي ليس مركبا فى ذاته ولا في صفاته فهو أنه تعالي لو كان مركبا فى واحد منهما لاشبه الحوادث فى خاصة من خواصها ومقتضيات ذاتها وهو التركيب كما تقدم فى دليل مخالفته تعالي للحوادث فيكون حادثا مثلها وقد قام الدليل علي وجوب قدمه تعالي واستحالة حدوثه وأما الدليل علي انه تعالى ليس له مماثل فى ذاته ولا فى صفاته فلانه لو وجد له مماثل فى ذاته يجب لذلك المماثل مايجب له تعالى ويستحيل عليه مايستحيل عليه سبحانه وتعالى أو وجد له مماثل فى صفاته

الواجبة القديمة لاسيما في تمام القدرة على كل ممكن كما سيأتي في اثبات وجوب القدرة التامة له تعالى لـكان ذلك المماثل في الذات أو في الصفات الواجبة القديمة إله ولو كان معه سبحانه وتعالى في الوجود إله لما وجد هذا العالم كما أشير اليه بقوله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) أي لو كان يقوم في خلق السموات والارض آلهة غير الله تعالى أي وان كان الله تعالى معهم لفسدتا أي لم توجدا وشرح هذا الدليل أن يقال لو تعدد إله العالم كان يكون هناك إلهان أو أكثر اذ لافرق في هذا الاستدلال لما وجد شيء من هـذا العالم لكن عدم وجود شيء من هذا العالم باطل لانه موجود وثابت بالمشاهدة فما أدي اليه وهو تعدد الاله يكون باطلا واذا بطل التعدد ثبتت الوحدانية وهو المطلوب وانمـا يلزم من وجود إلهين عدم وجود شيء من العالم لانهما اما أن يتفقا علي ايجاد هذا العالم وإما أن يختلفا فان اتفقا فلا جائز أن يوجداه لانه إما أن يحصل بايجاد كل منهما وجود العالم مستقل فيلزم أن له وجودين وهو انمـا له وجود واحد فقط وإما أن لا يحصل بايجادهما الا وجود واحد للعالم فيلزم ان كلا منهما لم يوجده بانفراده بل بمشاركة الآخر فيكون هذان الالهان قد ركبا وجعلا إلهـا واحدا ينسب اليه الايجاد ولا ينسب لواحد منهما علي الاستقلال لانه جزء الموجـد لاموجد مستقل وإله العالم انمـا هو موجده المستقل اذ يلزمه كمال القدرة وغير المستقل يكون عاجزا محتاجا الي معين وأيضا اذا قيل ان الاله حقيقة هو المجموع المركب من الاثنين قلنا قد ثبت ان التركيب محال علي الاله لوجوب مخالفته للحوادث في صفاتها التي من خواص نفسها ومنها التركيب ولا جائز أن يوجده أحدهما ثم يوجده الآخر لان هذا تحصيل حاصل وهو محال كما هو ظاهر ولا جائز أن يوجد أحدهما البعض من هذا العالم والآخر البعض الآخر للزوم عجزهما حينئذ لانه لما تعلقت

قدرة أحدهما بالبعض سد علي الآخر طريق تعلق قدرته به وهذا عجز في تمام القدرة علي كل شئ والعجز علي الاله محال كما سيأتي من وجوب تمام قدرته تعالي علي كل جائز وان اختلفا بأن أراد أحدهما ايجاد هذا العالم والآخر اعدامه فلا جائز أن تنفذ ارادتهما معا لئلا يلزم علي هذا اجتماع النقيضين وهو وجود العالم وعدمه فى آن واحد وهو محال ولا جائز أن تنفذ ارادة أحدهما دون الآخر للزوم عجز من لم تنفذ ارادته والآخر مثله لانعقاد المماثلة بينهما وقد يقال اذا نفذت ارادة أحدهما دون الآخر كان الذي نفذت ارادته هو الاله دون الآخر لعجزه وتم دليل الوحدانية

ودليل آخر علي استحالة تعدد الاله انه لما وجب وجود إله للعالم بدليل ان الحوادث لابد لها من محدث فاذا وجد إله آخر فاما أن لايكون كل منهما كافيا في ايجاد العالم فلا يكون كل منهما إلها لان الاله هو الكافي المستقل وإما أن يكون واحد منهما كافيا فالثاني يكون ضائعا لاحاجة اليه والاله لايكون كذلك وأما الدليل علي أنه تعالي ليس له مشارك فى فعل من الافعال فلأن الحوادث فى هذا الكون اما هي حدوث حيوان أو نبات أو معدن أو حركات غير الحيوانات كحركات الكواكب والرياح أو حركات الحيوانات غير الاختيارية كحركة نموها وحركة انتعاشها الحاصلة بسبب الحي مثلا فهذه الاشياء من البديهي انه ليس لسوي الله تعالي من المخلوقات دخل فى ايجادها واحداثها ومما يجزم به كل عاقل انه لم يصوره بصورته التى هو عليها أبوه أو أمه أو أحد من الخلق فيقال بعد ذلك ان الدليل علي تفرد الله تعالي بايجاد جميع ماذكر هو نظير الدليل علي أنه تعالي ليس له مماثل فى ذاته ولا في صفاته اذ تقول في ايجاد كل منهما لو كان هناك موجدان فاما أن يتفقا في ايجاد كل شيء مما ذكر واما أن يختلفا ويتمم

الدليل الى آخره كما تقدم قريبا فيثبت أنه ليس خالق لهذه الاشياء الا الله تعالي
واما ان تلك الحوادث حركات العباد الاختيارية من نحو قيام زيد ومشي عمرو
ونحو ذلك فهذه أيضا انما المتفرد بخلقها وايجادها هو الله تعالى والدليل على ذلك
أنه لو كان العبد هو الموجد والخالق لفعله الاختيارى لكان عالما بتفاصيله لكن
علمه بتفاصيله باطل فكونه هو الموجد له يكون باطلا فلم يبق الا أن الموجد له هو
الله تعالي الذي أوجد بقية الكائنات ولم يشاركه فيها مشارك والدليل على بطلان
علم العبد بتفاصيل فعله أن النائم تحصل عنه أفعال اختيارية لاشعور له بتفاصيل
مقاديرها وكيفياتها وان الكاتب يصور الحروف والكلمات بتحريك أنامله
من غير شعور له بما للانامل من الاجزاء والاعضاء أعنى العظام والغضاريف
والاعصاب والعضلات والرباطات ولا بتفاصيل حركاتها وأوضاعها التى بها تتأتي
تلك الصور والنقوش ثم انه قد تواترت النصوص الشرعية بأن الخالق لأفعال
العباد هو الله تعالي قال تعالي في كتابه العزيز (والله خلقكم وماتعملون) وقال
تعالي (هل من خالق غير الله) ويسوغ لاهل الايمان الاعتماد في عقائدهم علي
هذه النصوص الثابتة في الدين المحمدي المبين وأخذها دليل عقيدتهم علي أن
الخالق لافعال العباد هو الله تعالي لكن للعبد كسبا في أفعاله الاختيارية هو مناط
الثواب والعقاب وبه صح نسبة الفعل الي العبد في قولنا فعله قال الامام الاعظم
أبو حنيفة رضي الله تعالي عنه في الفقه الاكبر مانصه وجميع أفعال العباد من
الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة والله خالقها انتهي . قال مفسر كلامه من
الائمة الكرام يعني أن أصل الفعل بقدرة الله تعالي والاتصاف بكونه طاعة
أومعصية بقدرة العبد وبيان آخر أن العبد يوجه ارادته الي الفعل ويعلق قدرته
به فيكون ذلك منه سببا لاتصافه به كبقية الاسباب في جانب مسبباتها وهذا

من العبد هو الكسب والله تعالي عند ذلك يوجده بقدرته وهذاهوالخلق وهذا هو المذهب المتوسط بين الافراط والتفريط فلا نقول بأنه لادخل للعبد فى جميع أفعاله ولا نقول بأنه لادخل لله في أفعال العباد الاختيارية بل نقول ان الله تعالى خالق أفعالهم وهم يكتسبونها وعلى كسبهم يثابون أو يعاقبون

﴿ الصفة السابعة الارادة ﴾

يجب لله تعالى الارادة وهي صفة قديمة قائمة بذاته تعالي يخصص بها كل جائز ببعض مايجوز عليه ويستحيل عليه ضدها وهو الكراهية والدليل علي ذلك انه قد ثبت أن هذا العالم لم يحدث بذاته وانما حدث عن الله سبحانه وحينئذ نقول ان حدوث العالم عنه تعالى اما أن يكون بطريق العلية والضرورة بدون ارادة واختيار واما أن يكون بطريق الارادة والاختيار أي انه هو الذى أراد وجوده واختياره وعين له الوقت الذي يوجده فيه لاجائز أن يكون حدوث العالم عنه تعالي بطريق العلية والضرورة بدون اختيار لانه لو كان الامر كذلك والله سبحانه قديم للزم أن يكون العالم قديما لانه حينئذ يكون معلولا لله تعالي والمعلول يجب أن يتبع علته ولا يتأخر عنها وقد ثبت أن العالم حادث وجد بعد أن لم يكن فلم يكن حدوثه عن الله تعالي بطريق العلية والضرورة فلم يبق الا أنه حدث بارادة الله تعالي واختياره وتخصيصه له الوقت الذى يوجده فيه فقد ثبت بهذا أن الله تعالى إله العالم مريد مختار فوجبت له الارادة واستحال عليه ضدها وهو الكراهية وهو المطلوب

﴿ الصفة الثامنة القدرة ﴾

يجب لله تعالى القدرة وهي صفة قديمة قائمة بذاته تعالي يوجد بها الحوادث ويعدمها ويستحيل عليه ضدها وهو العجز والدليل علي ذلك ايجاده سبحانه لهذا العالم وما

احتوي عليه من الانواع ذات العظمة والغرابة من نحو عالم الحيوان وعالم النبات وعالم المعادن التي تشتمل على مئات الالوف من الاصناف التي تحتار فى عظمتها وغرابتها العقول وتغرق في بحار عجائبها الفهوم ولا يصدق العقل السليم ومن أجلى المستحيلات عنده ان من أوجد هذا العالم بهذه العظمة والجلالة والغرابة يكون عاجزا مسلوب القدرة فثبت بهذا أن الله تعالي إله هذا العالم الذي أوجده من العدم بتلك العظمة يجب له القدرة ويستحيل عليه ضدها وهو العجز وهذا هو المطلوب

﴿ الصفة التاسعة العلم ﴾

يجب لله تعالى صفة العلم وهي صفة قديمة قائمة بذاته تعالي تنكشف له بها جميع الاشياء من الواجبات والجائزات والمستحيلات فيعلم سبحانه كل شيء منها علي ماهو عليه من الوجوب أو الاستحالة أوالجواز ويستحيل عليه تعالي ضده وهوالجهل والدليل علي ذلك ايجاده سبحانه لهذا العالم بما احتوي عليه من العجائب والغرائب مع نهاية الاتقان وغاية الاحكام بما تحتار فى دقيق صنعه العقول وفي اتقانه الفهوم ويتضح هذا من نظر الانسان فى أقرب الاشياء اليه وهو ذاته المشتملة علي التدبير الباهر والاتقان الذي تحتار فيه الاذهان فكيف اذا تأمل فى عجائب الكواكب ونظامها وعالم الحيوان والنبات والمعدن وما حوته من الانواع والموافقات والاختلافات الي غير ذلك من العجب العجاب ومن المستحيل عند العقل السليم أن الذي أوجد هذا العالم بهذا الاتقان والاحكام ودقيق الصنعة وعجيب الوضع يكون جاهلا غير عالم فثبت بهذا أن الله تعالى إله العالم الذي أوجده بهذا الاتقان يجب له العلم ويستحيل عليه ضده وهو الجهل وهذا هو المطلوب

وتوضيح دليل وجوب القدرة والعلم لله تعالى بنوع من البسط أن تقول ان من نظر مثلا ساعة من الساعات التى يستعلم بها الوقت المحتوية علي عدة آلات هندسية متقنة محكمة حتى وفت بالغرض وضبطت الاوقات حتى الثوانى منها لاشك عنده ولا ريب فى أن لها صانعا صنعها وان هذا الصانع له قدرة كافية لصنعها وعلم كاف لاتقانها وإحكامها حتى تفي بالغرض المقصود منها ومن يصدق بأنها حصلت وتكونت بنفسها بطريق الصدفة بدون صانع صنعها وأتقنها أو أن صانعها عاجز مقطوع اليدين والرجلين جاهل بفنون الهندسة والصنائع بل هو خامل الفكر جاهل بكل علم ومع ذلك صنعها بذلك الاتقان والاحكام فيعد هذا المصدق من الحمقاء الذين لايفرقون بين الارض والسماء فكذلك اذا نظرنا فى هذا العالم مع ما احتوى عليه من عجائب كواكبه وغرائب حيوانه ونباته ومعدنه التى ملأت علومها الكتب وطفحت بها الصحف ولم نزل قاصرين عن الاحاطة بكل ما اشتملت عليه من العظمة والغرابة كما يعلم من الاطلاع علي كتب الفنون المتكفلة بالكلام على هذه العوالم نجزم قطعا مع غاية اطمئنان قلوبنا بان هذا العالم بجميع مشتملاته لابد له من صانع صنعه وأبرزه بهذا الاتقان والاحكام ونوع أنواعه وصنف أصنافه وميز أشخاصه وهو قادر أتم القدرة وعالم أكمل العلم يستحيل عليه العجز والجهل ومن نسب ذلك الصنع العظيم العجيب الى حدوثه بنفسه صدفة واتفاقا أو الى شئ آخر عاجز جاهل خال عن كل ادراك ومعرفة فلا شك أنه من أحمق الحمقاء وأجهل الجهلاء وان تستر بتمويهات واهية وخرافات ساقطة اذ فطرة العقل السليم تأبى تصديق دعواه الباطلة فنحن نجزم بما اعتقدناه من نسبة صنع هذا العالم للاله القادر العليم سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا

﴿ الصفة العاشرة السمع ﴾

يجب لله تعالى صفة السمع وهي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى ليست بصماخ وأذن تنكشف بها مسموعاته تعالى و يستحيل عليه ضده وهو الصمم والدليل على ذلك ان الصمم نقص والنقص على إله العالم الذي أوجده مكملا ووهب السمع لبعض أنواعه وجعله من أكبر النعم عليهم محال واذا استحال عليه سبحانه الصمم وجب له السمع وهو المطلوب

﴿ الصفة الحادية عشرة البصر ﴾

يجب لله تعالي صفة البصر وهي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى ليست بمقلة ولا حدقة تنكشف له تعالى بها مبصراته ويستحيل عليه تعالى ضده وهو العمي والدليل علي ذلك ان العمي نقص والنقص علي الله تعالى الذي أوجدهذا العالم مكملا وزين بعض أنواعه بنعمة البصر محال واذا استحال عليه تعالى العمي وجب له البصر وهو المطلوب

﴿ الصفة الثانية عشرة الكلام ﴾

يجب لله تعالى صفة الكلام وهي صفة قديمة قائمة بذاته تعالي ليست بحرف ولا صوت تدل على الواجبات والمستحيلات والجائزات ما كان منها وما يكون يفهم بها سبحانه مايريد افهامه لاحد عباده و يستحيل عليه ضده وهو البكم والدليل علي ذلك أن البكم نقص والنقص على الله تعالي إله العالم الذي أوجده وكمل بعض أنواعه بالنطق والكلام محال واذا استحال عليه سبحانه البكم وجب له الكلام وهو المطلوب

وتوضيح دليل وجوب صفة السمع والبصر والكلام له تعالي واستحالة أضدادها وهي الصمم والعمي والبكم بنوع بسيط أن نقول إن الصفات التسع التى تقدم

اثبات وجوبها له تعالي واستحالة أضدادها وهي أي تلك الصفات الوجود والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث وقيامه بنفسه والوحدانية والارادة والقدرة والعلم وان كان عليها مدار الألوهية ووجود إلهمتصف بها يكفي فى توجيه وجود هذا العالم ويقنع العقل السليم لكننا اذا تأملنا بعد ذلك فى شأن هذا الالهسبحانه وفي بديع مصنوعاته وما احتوت عليه من كمال الاتقان والاحكام بحيث إنه سبحانه أعطى كل شيء كماله وكل مايقوم بوجوده ويصلح لشأنه نجزم بأنه اذا كانت مصنوعاته في هذا الكمال فمن المستحيل أن يكون هو سبحانه ناقصا لأننا في جميع ماتتصوره لانجد الشيء يوجد مثله فضلاعن أن الناقص يوجد ويبتدع الكامل أوأن الكامل يوجد أكمل منههذا الانسان هو أعلم الحيوانات وأقدرها فىالصناعة مهما صنع وابتدع فانه لايقرب فى صنعه من الكمال الذي هوقائم فيه فضلا عن أن يصنع مثله أو أكمل منه فلا يقدر علي صنع نبات فضلا عن صنع حيوان أو انسان بل لو سقطت شعرةمن جسده لايقدر علي اعادتها كما كانت وما تراه يجري علي يده من ظهور النبات والحيوان فانما هو بمباشرته الامور التي جعلها الله تعالى أسبابا عادية لتولد النبات أو الحيوان فتراه يضع البزر في الارض ويعرضه للحرارة ويسقيه الماء فينبت منه النبات وهو لايدري كيف نبت وحدثت فيه سائر خواصه من اللون والطعم والرائحة وغير ذلك وكذلك يضع بيض الطائر فى الحرارة فيتولد منه طائره وهو لايدرى كيف تكون ذلك الطائر وشق سمعه وبصره وتصور لحمه ودمه وسائر أعضائه وفي هذا بيان ظاهر أن الانسان لم يصنع النبات والحيوان وانما تسبب في صنعهما مع جهله بكيفية نشأتهما عن اسبابهماوإله العالم هو المتفرد بصنعهما جل وعز فعلي جميع ماتقدم نجزم بأن هذا الاله الذي أوجد العالم من العدم ونوع منه الانواع التى تحار فيها الافهام

وكل بعضها بالسمع والبصر والكلام يجب أن يكون له مرتبة الكمال في صفاته التى ثبتت لدينا بالدليل العقلى وفى كل صفة كمالية تليق به تعالى والا كان دون مصنوعاته وذلك خلاف مايصدق به العقل فنعتقد أنه سبحانه وتعالي سميع بصير متكلم بل متصف بكل صفة كمال تليق بشأن الالوهية ويستحيل عليه تعالي الصمم والعمي والبكم وهو الذى أبدع السمع وأنار البصر وأطلق اللسان بالكلام كما يستحيل عليه تعالى أن يكون ناقصا فى صفة كمالية وقد أوجد في مصنوعاته كل كمال

هذا ويسوغ لنا معشر المسلمين أن نكتفي في اعتقاد ثبوت هذه الصفات الثلاث وهي البصر والسمع والكلام له تعالي علي الدليل السمعي من نحو قوله تعالى (وهو السميع البصير)وقوله (وكلم الله موسي تكليما) ونخرج بذلك عن خطة التقليد كما هو مقرر

﴿ الصفة الثالثة عشرة الحياة ﴾

يجب لله تعالي صفة الحياة وهي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى تصحح عقلا اتصافه بصفاته الجليلة من نحو القدرة والارادة والعلم ويستحيل عليه تعالي ضدها وهو الموت والدليل على ذلك أنه لو كان ميتا لما صح اتصافه بصفاته التى قام الدليل على وجوب اتصافه بها من نحو القدرة والارادة والعلم لكن قام الدليل علي وجوب اتصافه بها فمن المحال أن يكون سبحانه وتعالي ميتا واذا استحال عليه الموت وجب له الحياة وهو المطلوب

﴿ الفصل الثالث في بيان أن من صفات الله تعالي التى تقدمت مايتعلق بالاشياء ومعنى تعلقها وأن منها مالا يتعلق بشيء ﴾

إعلم أن صفات الله تعالي الثلاثة عشرة التي تقدم لنا إقامة الدلائل علي وجوبها

له تعالى واستحالة أضـداد‌ها منها مالا يتعلق بشيء وهي سبع صفات الوجود والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث وقيامه بنفسه والوحدانية والحياة ومعني عـدم تعلقها بشيء أنه لايكون بها تخصيص الاشياء ولا إيجادها ولا كشفها ولا الدلالة عليها كما يكون للصفات الآتية ومنهاماله تعلق بالاشياء وهي ست صفات له تعالى وهي الارادة والقدرة والسمع والبصر والعلم والـكلام

أما الارادة والقدرة فيتعلقان بالجائزات فقط ولا يتعلقان بالواجبات والمستحيلات فالارادة تتعلق بالجائز تعلق تخصيص فيخصص الله تعـالي بها في الازل الجائز ببعض مايجوز عليه مثلا يخصص الله تعالي فى الازل زيدا بأنه يوجد أم لا وبأنه اذا وجد يكون علي صفة كذا في الزمن الفلاني والمـكان الفلانى والجهة الفلانية من الارض وهلم جرا وبهذا التخصيص يجب أن يكون هذا الجائز علي ماخصصه الله تعالي به بارادته ويستحيل أن يكون بخلاف ذلك لانه لو كان بخلاف ماأراده الله تعالي فيه لزم أن يكون الله تعالي كارها مقهورا يحصل في ملـكه مالا يريده وهي حالة لا يرضى بها المخلوق المملوك فما بالك بالخالق ملك الملوك سبحانه وتعالي والقدرة له تعالي تتعلق بالجائز تعلق تأثير بايجاده أو باعدامه علي طبق ماتعلقت به الارادة في الازل . مثلا اذا تعلقت ارادته تعالي فى الازل بايجاد زيد على صفة كذا في زمن كذا فى مكان كذا فاذا جاء الزمن الذي تعلقت ارادته تعالي بايجاد زيد فيه تعلقت قدرته تعالى بايجاده فيوجده سبحانه فيه بقدرته على الصـفة التى خصصه بها في المـكان الذي خصصه له بارادته وكذلك اذا تعلقت إرادته تعالي باعدام عمرو على وجه مخصوص تعلقت قدرته تعالي باعـدامه فيعدمه سبحانه بقدرته علي طبق تعلق الارادة بدون تخلف والا لزم تخلف ارادة الله تعالى وهو محال كما تقدم قريبا

وانما لم تتعلق كل من ارادة الله تعالي وقدرته لا ايجادا ولا إعداما بالواجبات كذاته تعالى وصفاته وملازمة الجرم للحيز ولا بالمستحيلات كالشريك له تعالي والجمع بين النقيضين ككون زيد موجودا معدوما فى آن واحد فلأن الواجب حاصل حتما ولا يمكن خروجه عن الوجود الي العدم فلا تتعلق به الارادة والقدرة لا ايجادا لأن ذلك تحصيل حاصل وهو محال ولا إعداما لاستحالة عدمه وخروجه عن الوجود ولان المستحيل معدوم حتما ولا يقبل الوجود فلا تتعلق به الارادة والقدرة لا إعداما لأن ذلك تحصيل حاصل وهو محال ولا إيجاد الاستحالة وجوده وخروجه عن العدم . وعلي تقرير هذا المقام لو سأل سائل وقال هل يقدر الله تعالى علي إعدام الواجب الفلاني أو علي ايجاد المستحيل الفلانى كشريكه تعالي فالجواب المقترن بالأدب أن نقول إن البرهان قد دل علي أن قدرة الله تعالي لا تتعلق بالواجبات ولا بالمستحيلات لا ايجادا ولا إعداما وما ذكرت أيها السائل فهو من الواجبات أو من المستحيلات فقدرة الله لا تتعلق بهما ولا نقول انه تعالي لا يقدر علي ذلك لأن هذا من سوء الأدب فى جانب الحضرة الالهية ويوهم العجز عليه تعالى وتقدس

وأما السمع والبصر له تعالى فيتعلقان بجميع الموجودات سواء كانت واجبات أو جائزات تعلق انكشاف ولا يتعلقان بالمعدومات سواء كانت مستحيلات أو جائزات فيري سبحانه وتعالى ذاته الكريمة وصفاته ويسمع كلامه كما انه يرى ويسمع كل مرئى ومسموع جائز من مخلوقاته فيري الذرة فى الليلة الظلماء ويسمع صوت مشيها على الصخرة الصماء لان سمعه وبصره تعالى ليس كسمع الحوادث وبصرهم الحادثين الناقصين المتوقف ادراكهما على شروط وأسباب عادية وأما علمه تعالي وكلامه سبحانه فيتعلقان بالواجبات والمستحيلات والجائزات

الموجودات منها والمعدومات أما علمه فيتعلق بهذه المذكورات تعلق انكشاف فيعلم الله تعالى بعلمه الواجب وانه واجب وذلك كذاته المقدسة وصفاته ويعلم بعلمه المستحيل وانه مستحيل وذلك كالشريك له تعالي ويعلم الجائز وانه جائز سواء كان موجودا أو معدوما سيوجد أو لايوجد فيعلمه سبحانه علي ماهو عليه ولايعزب عن علمه سبحانه شيئ من كلي أو جزئي في الارض أو في السماء فيعلم عدد الرمال وقطرات الامطار وورق الاشجار وذرات الكائنات ولا نهاية لمعلوماته سبحانه وأما كلامه تعالى فيتعلق بالواجبات والمستحيلات والجائزات تعلق دلالة فكلامه سبحانه الذي ليس بحرف ولا صوت يدل علي كل واجب ومستحيل وجائز موجود أو معدوم بكل ماهو عليه ويفهم الله تعالى بكلامه كل واحد منها لمن أراد إفهامه من عباده كملائكته ورسله عليهم الصلاة والسلام

﴿ الفصل الرابع في بيان أنه يجب أن نعتقد بجميع صفاته تعالى وأسمائه التي ورد الشرع بما يفيد ثبوتها له تعالى مع بيان أن أسماءه تعالي توقيفية ﴾

إعلم انه لما ثبت عندنا معشر المسلمين أن سيدنا محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب صلي الله عليه وسلم هو رسول الله تعالى بدليل ماظهر على يديه من المعجزات الخارقة للعادة التي كان ظهورها على يديه تصديقا له من جانب الله تعالى بدعوى الرسالة وحيث ثبت أنه رسول الله يجب له الصدق في جميع مايخبر به ويستحيل عليه الكذب كما سيأتي برهان جميع ذلك في الباب الثاني ان شاء الله تعالى وجب علينا وصح لنا تصديقه في جميع ماجاء به في نصوص شريعته من اثبات الصفات لله تعالى وقد جاء في نصوص شريعته من القرآن الشريف وحديثه المنيف مايفيد وصف الله تعالى بالصفات التي تقدم ذكرها مع اثباتها لله تعالي بالدليل العقلي واستحالة أضدادها وهي التي عليها مدار الألوهية وعظمة شأن الربوبية وحده

أيضا في نصوص الشريعة مايفيد وصف الله تعالى بصفات أخرى كمالية من أنه تعالى عدل حكيم صمد هاد خالق رزاق قيوم الى أمثال ذلك مما طفحت به نصوص الشريعة المحمدية فيجب الايمان بجميع ماورد له تعالى من الصفات العلية في نصوص الشريعة الأحمدية لان المخبر بها وهو رسول الله صادق مجزوم بصدقه بما قام من دلائل رسالته من عند الله تعالى

ثم كما جاءت نصوص الشريعة باثبات الصفات له تعالى كذلك جاءت باثبات أسمائه سبحانه التي سمي بها نفسه ومنها لفظ الله الذي هو الاسم الخاص به تعالى وهذا اللفظ الكريم كما أن اللغة العربية تطلقه على الاله سبحانه قبل ارسال سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام كذلك جاءت الشريعة باطلاقه عليه تعالى فتسميته تعالى به تسمية شرعية نعتمد بها على نص الشريعة وهكذا بقية أسمائه تبارك وتعالى فتسميته بكل منها شرعية ولايجوز تسميته باسم لم يرد به الشرع الشريف وهذا معنى قول علماء الاسلام إن أسماء الله تعالى توقيفية أي ان اطلاق كل اسم منها عليه بتوقيف الشرع الشريف ولا يجوز اطلاق اسم عليه تعالى بدون توقيفه

﴿ الفصل الخامس في بيان ماورد في نصوص الشريعة نسبته الي الله تعالى مما يوهم التشبيه والمماثلة للحوادث و بيان كيفية اعتقاد أهل السنة والجماعة في ذلك وطريق تأويله عند الحاجة اليه ﴾

إعلم انه كما ورد في الشريعة المحمدية مايفيد وصف الله تعالى بصفات كمالية منها ماقامت الدلائل العقلية على ثبوته له تعالى ومنها ماليس كذلك لكن لما أخبر به الرسول المبرهن على صدقه بالمعجزات ولا مانع عقلا يمنع من ثبوته له تعالى آمنا وصدقنا به وذلك مثل كونه تعالي قابل التوبة من عباده وانه يثيب الطائع

ويمذب العاصي كذلك وقد ورد في نصوص الشريعة الغراء نسبة أشياء لله تعالي توهم ظواهرها مماثلته ومشابهته للحوادث وسميت تلك النصوص بالمتشابهات والحال أن الدليل العقلي قد قام علي وجوب مخالفته تعالي للحوادث واستحالة مماثلته لها وكذلك الدليل النقلي ورد بذلك قال الله تعالي (ليس كمثله شئ وهو السميع البصير) فنعتقد في تلك النصوص المتشابهات أن لها معانى صحيحة تليق به تعالي خالية عن استلزام مماثلته تعالي للحوادث وليست هي المعانى المتبادرة من ظواهر تلك النصوص المستلزمة للمماثلة ونفوض علم حقيقة تلك المعانى الصحيحة اليه سبحانه فنكون بذلك الاعتقاد منزهين له تعالي عن مماثلة الحوادث ومفوضين له فى علم ماأراد من تلك النصوص وهكذا كان اعتقاد السلف الصالح رضي الله عنهم لكن لما ظهر بعض الفرق المبتدعة وتمسكوا بظواهر تلك النصوص المتشابهات واعتقدوا المعانى المتبادرة منها المستلزمة لمماثلته تعالي للحوادث وخيف علي اعتقاد بعض الضعفاء فى الدين من سريان بدعتهم اليه. تأول العلماء المتأخرون هذه النصوص المتشابهات تأويلات مناسبة موافقة للأدلة العقلية علي ماذكر فى كتب التفاسير وشروح الأحاديث. وهم في تلك التأويلات عند التصدر لرد مذهب المبتدعة أو تثبيت عقيدة الضعفاء كأنهم يقولون مادامت تلك النصوص المتشابهات محتملة لمعان صحيحة مناسبة موافقه للأدلة العقلية جارية علي قواعد اللغة العربية فبالحمل عليها احتمالا يحصل التوفيق بينها وبين الأدلة الدالة على وجوب مخالفته تعالى للحوادث واستحالة مماثلته تعالى لها ونسلم من اعتقاد ماربما يخرج به المرء عن الايمان والعياذ بالله تعالي وبيان الطريقتين فى ذلك أنه قد ورد قوله تعالي في القرآن المجيد (الرحمن على العرش استوى) وقوله تعالي (ويبقى وجه ربك) وقوله تعالي (يد الله فوق أيديهم) وقوله تعالي

(والسموات مطويات بيمينه) وقوله تعالي (وجاء ربك) الي غير ذلك من الآيات وورد فى الحديث الشريف قوله عليه الصلاة والسلام (رأيت ربى في أحسن صورة) وقوله عليه الصلاة والسلام (إن الجبار يضع قدمه في النار) وقوله عليه الصلاة والسلام (ينزل ربكم الي سماء الدنيا) الى غير ذلك من الأحاديث فالطريق الاسلم الذى درج عليه السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم أن نقول فى هذه النصوص إن لها معاني غير مايتبادر منها وهي صحيحة موافقة للأدلة العقلية والنقلية الدالة علي وجوب مخالفته تعالى للحوادث وإنا نؤمن بها ونفوض معرفة حقيقتها الى علم الله تعالي وهذا القدر يكفى في صحة الايمان فاستواؤه تعالي على العرش هو صفة من صفاته تعالي اللائقة به ليس كاستواء الحادث المستلزم للجسمية والجهة والنزول الي سماء الدنيا صفة من صفاته تعالى اللائقة به ليس كنزول الحادث المستلزم الانتقال من حيز الى حيز والمجيء كذلك ونقول أيضا ان له تعالى يدا ويمينا وقدما ليست كأعضائنا بل هي علي ماتليق به سبحانه لاتستلزم التجزؤ والمقدار وهو سبحانه أعلم بحقيقة تلك المعانى التى أرادها من تلك النصوص وهكذا القول في كل نص متشابه واذا تصدينا للرد مذهب المبتدع المدعي مماثلته تعالى للحوادث تمسكا بظواهر هذه النصوص أو أردنا تثبيت عقيدة الضعفاء فى الدين فنقول علي طريق التأويل ان تلك النصوص تحتمل معاني غير مايتبادر منها لاتستلزم مماثلته تعالى للحوادث وبالحمل عليها توافق الأدلة العقلية والنقلية الدالة علي تنزيهه تعالى عن المماثلة ونأمن بذلك من الخطأ في الاعتقاد الذي ربما يؤدي الي الكفر والعياذ بالله تعالي وبيان ذلك أنه يحتمل أن المراد من الاستواء علي العرش هو الاستيلاء والقهر كما قال الشاعر العربى (قد استوي بشر علي العراق) أي استولي والمراد بذلك بيان عظمته تعالي

ونفوذ حكمه علي كل شئ من هـذا العالم ويحتمل أن المراد بالنزول الى سماء الدنيا هو الاقبال علي عباده وقد ورد فى اللغة العربية النزول بمعنى الاقبال فالمعنى أن الله تعالي يقبل علي عباده في ذلك الحين فعبر عن ذلك الاقبال بالنزول الي سماء الدنيا ويحتمل أن المراد بالمجيء هو الاقبال أيضا وان المراد وجاء أمر ربك وسلطانه ويحتمل أن المراد بالوجه الذات فانه يطلق ويراد به الذات وأن المراد باليد واليمين القدرة وكل ذلك له شواهد من استعمالات اللغة العربية التى جاء القرآن والأحاديث النبوية بها وهكذا يجري التأويل في كل ماورد من المتشابهات فليس شئ منها الا وقد وجد له العلماء تأويلا مناسـبا موافقا للأدلة العقلية علي قانون اللغة العربية وقد أفردوا لذلك كتبا تكفلت ببيان ذلك فعلي كل مكلف أن يؤمن بجميع ماورد من تلك النصوص المتشابهات ويعتقد أن لهـا معـاني صحيحة لائقـة بجنابه تعالي غير مستلزمة لمماثلته تعالي للحوادث ويفوض معرفة حقيقتها المرادة منها الي عـلم الله واذا احتاج الي التأويل في دفع مذهب مبتدع أو لرفع الوسوسة عن قلبه ولم يكن أهلا للتأويل فليرجع الي العلماء الأعلام ويفهم منهم تأويل ماأراد تأويله ولا يستقل به وهو ليس أهلا له خشية أن يقع فى خطأ يدخله فى البدعة أو فى الكفر نسأل الله تعالي الحفظ والسلامة وليعلم أن النصوص المتشابهات التى مر الـكلام عليها فى هذا الفصل هي الآيات القرآنية وأحاديث الرسول الثابتة عنه عليه الصـلاة والسلام وأما ماينسبه الي الرسول عليـه السلام بعض أهل الاخبار ولم يثبت عنه عليه الصلاة والسلام بنقل العدول فهذا وأمثاله لايجب علينا التصديق به فضلا عن الاحتياج الي تأويله والله تعالي أعلم

﴿ الفصل السادس فى بيان مايجوز فى حق الله تعالي و بيان مسائل خالفنا فيها أهل البدع ﴾

قد تقدم بيان مايجب لله تعالي وما يستحيل عليه سبحانه فلنشرح الآن في هذا الفصل مايجوز فى حقه تعالي فنقول

يجوز فى حقه تعالي فعل كل جائز أو تركه مهما كان الجائز عظيما دقيق الصنعة فالله تعالي قادر على صنعه والدليل علي ذلك من نصوص الشرع الشريف قوله تعالي (والله على كل شيء قدير) والدليل عليه عقلا أن الله تعالي تام القدرة كامل العلم وأن كل جائز هو قابل للوجود والعدم فيكون الله تعالي قادرا على ايجاده وإعدامه والذي يوضح جواز فعله تعالي لكل جائز أو تركه مهما كان الجائز عظيما دقيقا مانشاهده في هذا العالم من عظائم مصنوعاته تعالي وغرائب مبتدعاته فانه قد تصرف فيها بقدرته إيجادا و إعداما نعم قد جرت عادته تعالى بأن لا يوجد خوارق العادات أي الأمور العظيمة التى لم تجر العادة بوجودها الا علي أيدي رسله عليهم الصلاة والسلام معجزة لهم وتصديقا لدعواهم الرسالة أو علي أيدي أوليائه كرامة لهم أو على أيدي بعض عباده معونة لهم أو استدراجا أو خذلانا كما سيأتى تفصيله وكل ذلك في النادر

ومن الجائز في حقه تعالي خلق الخير والشر ولا يكون ذلك منه قبيحا خلافا لبعض المبتدعة لانه تعالي فاعل مختار يتصرف في ملكه كيف يشاء و ربما يكون الشيء حسنا في نفسه وان خفي علينا حسنه وعددناه شرا علي أن الشر يكون شرا بالنسبة الينا ولذلك نؤاخذ بكسبه ومخالفة النهى عنه ويكون فعله منا قبيحا وأما بالنسبة اليه تعالى فلا يقال ان الشيء الفلانى خير والشيء الفلانى شر لانه سبحانه لا ينتفع بشيء ولا يتضرر من شيء وأيضا أنه كثيرا مايقع الشر فى الكون فلو كان بغير

خلقه وارادته تعالى لزم أن يقع كثيرا فى ملكه ليس بخلقه ولا بارادته وهو عجز وقهر علي منصب الالوهية تعالي الله عن ذلك علوا كبيرا

ومن الجائز عليه تعالى أن يفعل غير الصالح وغير الأصلح فى حق عباده ولا يجب عليه أن يفعل ذلك فى حقهم خلافا لبعض المبتدعة لانه لو وجب عليه تعالي فعل الصالح والأصلح لعباده لما خلق الكافر الفقير المعذب في الدنيا بالفقر وفي الآخرة بالعذاب الأليم لان الاصلح له عدم خلقه وان خلق فالاصلح له إماتته صغيرا أو سلبه عقله قبل بلوغ سن التكليف لكنه تعالى خلق ذلك الكافر ولم يفعل الاصلح فى حقه فظهر أنه تعالى لايجب عليه فعل الصالح والاصلح لعباده بل هو الفاعل المختار الذي يفعل مايشاء ويحكم بما يريد

ومن الجائز فى حقه تعالى عقلا أن يعذب المطيع وينعم العاصي ولا يقبح ذلك منه لانه مالك مطلق فاعل مختار ولانه ان أثابنا فبفضله وان عذبنا فبعدله ولا تأثير للطاعة في وجوب الثواب ولا تأثير للمعصية فى وجوب العذاب لكن لما ورد فى نصوص الشريعة المحمدية وعده سبحانه وتعالى للمطيع بالثواب ووعيده للعاصي بالعقاب صار واجبا شرعا أن لايتخلف وعده ولا وعيده لانه لوتخلف ذلك لزم الكذب والخلف فى خبره تعالي وذلك محال لكن الوعد بالثواب يجب شرعا أن لايتخلف في حق أحد من المطيعين لانه نقص والنقص عليه تعالى محال وأما الوعيد بالعقاب فقد أخرج منه المؤمنون المغفور لهم بالدلائل الدالة علي أن الله تعالي قد يغفر لبعض عباده الذنوب وأما الكفار فلا يتخلف الوعيد فى حقهم للأدلة الشرعية الدالة علي تحتم خلودهم فى النار وأما المؤمنون غير المغفور لهم معاصيهم فلا بد من نفوذ الوعيد فى حقهم ولو بتعذيب واحد منهم لئلا يلزم الخلف في خبره تعالي ومن الجائز عليه تعالي عقلا أن ينظر بالأبصار لانه سبحانه وتعالي

موجود وكل موجود يصح أن يرى فهو سبحانه يصح أن يري لكن لم تقع رؤيته تعالى في الدنيا لغير نبينا محمد صلي الله عليه وسلم ورؤيته سبحانه في الآخرة للمؤمنين واجبة شرعا باتفاق أهل السنة والجماعة لنص القرآن والاحاديث الشريفة ولاجماع الصحابة عليها لكن رؤيته تعالي بلا كيف وبلا انحصار ومعنى قولنا بلا كيف أنها بدون تكيفه سبحانه بكيفية من كيفيات الحوادث من نحو المقابلة للرائي والجهة والتحيز لان الرؤية قوة ادراكية يجعلها الله تعالي في خلقه لا يشترط فيها عقلا مقابلة المرئى ولا كونه فى جهة وحيز ولا غير ذلك وانما جعلت هذه شروطا عادية يجوز أن يخلق الله تعالي الرؤية بدونها ومعني قولنا إن رؤيته تعالي بلا انحصار أى بدون انحصاره تعالي عند الرائي بحيث يحيط به لاستحالة الحدود والنهايات له تعالى ولا تخالف بين وجوب رؤية المؤمنين له تعالي وبين قوله في القرآن الشريف لا تدركه الابصار لان معني ادراك الابصار رؤيتها على وجه الاحاطة بحيث يكون المرئي متحيزا بحدود ونهايات وهذا لا نقول به لانه محال عليه تعالي وقد خالف في جواز رؤيته تعالي بعض المبتدعة وتمسكوا بشبه مردودة عليهم في الكتب المطولة

ومن الجائز عليه تعالي إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام للخلق فليس ارسالهم واجبا عليه تعالي ولا مستحيلا بل لطف منه تعالي واحسان ورحمة بمحض الفضل لما فى ارسالهم من الحكم والمصالح التى لا تحصي ، منها معاضدة العقل فيما يستقل بمعرفته مثل وجود الاله سبحانه وعلمه وقدرته . ومنها استفادة الحكم فيما لا يستقل به العقل مثل المعاد الجسمانى والحساب ، ومنها بيان حال الافعال التى تحسن تارة وتقبح أخرى من غير اهتداء العقل الي مواقعها . ومنها بيان منافع الأغذية والادوية ومضارها التى لا تفي بها التجربة الا بعد أدوار وأطوار مع مافيها من

الاخطار ومنها تكميل النفوس البشرية بحسب استعداداتهم المختلفة في العلميات والعمليات . ومنها تعليم الصنائع الخفية من الحاجيات والضروريات ومنها تعليمهم الاخلاق الفاضلة الراجعة الي الاشخاص والسياسيات الكاملة العائدة الي الجماعات في المنازل والمدن ومنها الاخبار بتفاصيل ثواب المطيع وعقاب العاصي ترغيبا فى الحسنات وتحذيرا عن السيئات الي غير ذلك من العوائد ثم بعد اعتقادنا بجواز ارسالهم فى حق الله تعالي وانه ليس بواجب عليه يجب علينا اعتقاد حصول ارسالهم من لدن آدم الي رسولنا محمد صلي الله تعالي عليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين وسلم وسيأتى بيان كيفية تفصيل الايمان بهم عليهم الصلاة والسلام فى الباب الثانى والله الموفق

﴿ الباب الثانى فى بيان الايمان بالرسل والانبياء والملائكة والكتب واليوم الآخر وما يتبع ذلك وفيه خمسة فصول ﴾

﴿ الفصل الاول فى بيان الايمان بالرسل والانبياء عليهم الصلاة والسلام ﴾

اعلم أن الرسول هو انسان ذكر حر أوحي الله تعالي اليه بشرع وأمره بتبليغه للخلق وان لم يؤمر بالتبليغ يسمي نبيا فقط وقد تقدم ان ارسال الرسل من الجائز على الله تعالي ولكن قد حصل منه تعالى ارسالهم تفضلا علي عباده لما فيه من الفوائد الكثيرة والايمان بالرسل هو أن نؤمن بأن الله تعالي أرسلهم مبشرين ومنذرين وأيدهم بالمعجزات الخارقة للعادات وان نؤمن بما يجب لهم وما يستحيل عليهم وما يجوز في حقهم عليهم الصلاة والسلام فيجب لهم الامانة ويستحيل عليهم ضدها وهو الخيانة ويجب لهم الصدق ويستحيل عليهم ضده وهو الكذب ويجب لهم الفطانة ويستحيل عليهم ضدها وهو الغفلة وعدم الفطنة ويجب لهم تبليغ ماأمرهم الله تعالى بتبليغه للخلق ويستحيل عليهم ضده وهو كتمان ذلك

ويجوز في حقهم الاعراض البشرية التى لاتوءدي الي نقص فى مراتبهم العلية وكمال الايمان بما ذكرنا أن يكون مقرونا بالدليل فنقول في بيان ذلك

يجب للرسل عليهم الصلاة والسلام الأمانة وهي العصمة ومعناها حفظ ظواهرهم وبواطنهم من التلبس بمعصية ويستحيل عليهم ضد الأمانة وهي الخيانة فهم محفوظون ظاهرا من الزنا وشرب الخمر والكذب وأمثال ذلك من المنهيات الظاهرة ومحفوظون باطنا من الحسد والكبر والرياء وأمثال ذلك من المنهيات الباطنة وما أوهم من النصوص الشرعية وقوع المعصية منهم فموءول بتأويلات حسنة مذكورة في كتب التفاسير وشروح الاحاديث النبوية فعلى المكلف اذا اشتبه بشيء من تلك النصوص في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام أن يرجع في تأويله الي العلماء الاعلام ليفهم منهم تأويله ويكون اعتقاده موافقا لاعتقاد أهل السنة والجماعة والدليل علي وجوب الأمانة للرسل عليهم الصلاة والسلام واستحالة الخيانة عليهم أنهم لو خانوا بفعل معصية لكنا مأمورين به لانه تعالي أمرنا باتباعهم فى أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم من غير تفصيل والله سبحانه وتعالي لايأمر بالمعصية ويجب لهم عليهم الصلاة والسلام الصدق ويستحيل عليهم ضده وهو الكذب أما وجوب صدقهم واستحالة الكذب عليهم فيما يبلغونه عن الله تعالي فالدليل عليه أنه لو كذبوا فى ذلك للزم الكذب في خبره[1] تعالي لتصديقه لهم بالمعجزات وهي خوارق العادات التى يجريها الله تعالى علي أيديهم تأييدا لهم لانها نازلة منزلة قوله سبحانه صدق عبدي في كل ما يبلغ عني وتصديق الكاذب كذب وهو محال عليه تعالي فيكون كذبهم فيما يبلغون عنه تعالي محالا واذا استحال كذبهم في ذلك وجب صدقهم فيه وهو المطلوب

وأما وجوب صدقهم واستحالة الكذب عليهم فى غير مايبلغونه عنه تعالي فالدليل

عليه أنهم لو كذبوا لكان كذبهم خيانة تخالف وجوب الامانة والعصمة لهم وقد تقدم الدليل على وجوب الأمانة لهم واستحالة الخيانة عليهم صلي الله تعالي وسلم عليهم أجمعين

ويجب لهم عليهم الصلاة والسلام الفطانة وهي التفطن والتيقظ ويستحيل عليهم ضدها وهو الغفلة وعدم اليقظة والدليل علي ذلك انه لو لم يكونوا فطناء وكانوا مغفلين لما أمكنهم اقامة الحجة على أخصامهم والمجادلة معهم لاقناعهم بالحق وهذا يخالف منصبهم الذي أرسلوا به وهو هداية الخلق الي الحق فوجب بذلك لهم الفطانة واستحال عليهم ضدها وهو الغفلة وهو المطلوب

ويجب لهم عليهم الصلاة والسلام تبليغهم للخلق ماأمرهم الله تعالي بتبليغه ويستحيل عليهم ضده وهو كتمانهم شيأ من ذلك والدليل علي ذلك أنهم لو كتموا شيأ مما أمروا بتبليغه للخلق لكنا مأمورين بكتمان العلم لأن الله تعالي أمرنا بالاقتداء بهم وكوننا مأمورين بكتمان العلم باطل فكتمانهم شيأ مما أمروا بتبليغه للخلق يكون باطلا فوجب لهم تبليغ ماأمروا بتبليغه واستحال عليهم كتمان شئ من ذلك وهو المطلوب

وأما الجائز فى حق الرسل عليهم الصلاة والسلام فهو سائر الأعراض البشرية التى لاتؤدي الي نقص فى مراتبهم العلية وذلك كالأكل والشرب وجماع النساء فى الحلال والأمراض التى لاتخل بمنصب الرسالة ولا تكون منفرة للخلق عن الاجتماع بهم والأخذ عنهم والدليل علي ذلك مشاهدة تلك الأعراض بهم وهي لاتخل بمنصب الرسالة وأما الأمراض التى تخل أو تنفر عنهم الخلق مثل الجنون والاغماء الطويل والجذام والبرص والعمي فهى ممتنعة عليهم ولم يثبت أن شعيبا كان أعمي وما كان بأيوب من البلاء فقد كان ألما تحت الجلد ليس منفرا

وما اشتهر فى قصته من الحكايات المنفرة فهي باطلة

وأما السهو فممتنع عليهم فى الأخبار البلاغية أى التى يبلغونها للخلق نحو الجنة أعدت للمتقين وفي غير البلاغية أيضا نحو قام زيد وذهب عمرو ولانه يورث الشبهة لبعض الضعفاء فى عموم أخبارهم وهو ينافي منصب الرسالة وأما السهو فى أفعالهم غير البلاغية والبلاغية كالسهو فى الصلاة فهو غير ممتنع عليهم وحكمة وقوعه منهم أن يري الناس كيف يعملون عند حدوث السهو في عباداتهم لأن دلالة الفعل أوضح من دلالة القول . وأما النسيان فهو ممتنع عليهم فى البلاغيات قولية كانت أو فعلية فالقولية نحو الجنة أعدت للمتقين والفعلية نحو صلاة الضحي اذا أمروا بفعلها ليقتدي الناس بهم فلا يجوز نسيان شئ من ذلك قبل تبليغ الأولي بالقول والثانية بالفعل وأما التبليغ فيجوز نسيان ماذكر من جانب الله تعالي لحكمة يعلمها وأما النسيان من جانب الشيطان فمستحيل عليهم اذ ليس الشيطان عليهم سبيل ووسوسة الشيطان لآدم عليه السلام بتمثيل ظاهري والممتنع لعبه ببواطنهم والملخص أنه يجوز علي ظواهرهم مايجوز علي بقية البشر مما لا يؤدي الي نقص واخلال بمنصب الرسالة وأما بواطنهم فمنزهة محفوظة متعلقة بربهم وما يوهم خلاف هذا فمؤول يرجع فى فهم تأويله الي العلماء الاعلام وليعلم ان جميع ماذكر في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام من الوجوب والاستحالة والجواز يلزمنا أن نعتقده في حق الانبياء وهم الذين أوحي الله تعالي اليهم بشرع ولم يأمرهم بتبليغه للخلق لانه ربما ترجع اليهم الناس فى الاستفتاء عن أحكام شرائع الرسل قبلهم ولانهم مأمورون أن يبلغوا الخلق أنهم أنبياء ليحترموهم ولانهم يعملون بما أوحي اليهم

ثم ليعلم انه يجب الايمان بجميع الانبياء والرسل اجمالا بأن يؤمن المكلف بكل

نبي ورسول الله تعالي وبما يجب لهم وما يستحيل وما يجوز والاولي ان لا يعين عددا مخصوصا لاختلاف الروايات في عددهم وقد قال تعالي (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) لكن يجب الايمان تفصيلا بالرسل الذين ذكرت أسماؤهم في القرآن الشريف وقد جمعنا أسماءهم الشريفة في هذه الابيات

أسماء رسل الله في القرآن * خمس وعشرون فخذ بيان
هم آدم ادريس نوح هود * يونس الياس اليسع داود
اسحق ابراهيم لوط موسي * ذوالكفل يحيي زكريا عيسي
شعيب ثم صالح أيوب * هارون ثم يوسف يعقوب
ثم سليمان واسماعيل * محمد ختمهم الجليل

﴿ الفصل الثاني في شرح معجزات الرسل التي أيدهم الله تعالي بها وبيان طريق وقوعها وإقامة الحجة بها ﴾

علم أنه قد تقدم في هذا الكتاب أن الجائز العقلي هو ما يقبل الثبوت والانتفاء وأن كل جائز فهو داخل تحت تصرف قدرة الله تعالي مهما كان عظيما ودقيق الصنع وتوضح ذلك بعد ثبوت أن الخالق لهذه الكائنات هو الله تعالى ما نشاهده من أعماله في هذه المصنوعات من العظمة والدقة والحكمة ولنشر الي تفصيل بعض ذلك فنقول ، لننظر الي عالم الكواكب وما اشتمل عليه من العظمة والغرابة وعجيب الترتيب والانتظام كما يظهر من كتب علم الهيئة التي تكفلت بشرح حقيقة ذلك ، ولننظر الي عالم الجويات وما احتوي عليه من الهواء والرياح والبروق والرعود والسحاب والأمطار والكائنات الجوية التي أفردت بالتأليف وصارت علما واسعا . ولننظر الي الأرض وما اشتملت عليه من الجبال والأودية والكهوف والسهول والبحار والأنهار والينابيع والمعادن والكائنات الأرضية من

الزلازل والتغيرات العظيمة . ولننظر الي عالم المعادن وما فيها وما احتوي عليه من الأنواع المختلفة في الالوان والطعوم والخواص والمنافع . ولننظر الي عالم النبات وما فيه من اختلاف الأشجار والأزهار والأثمار المتنوعة فى الألوان والروائح والطعوم والأشكال والأقدار والخواص والمنافع وغرائب توالده ونموه واقامته وسائرأحواله التى أفردت بالتأليف وأصبحت علما من أعظم العلوم . ولننظر الي عالم الحيوان وما يحويه من العظائم والغرائب في اختلافه فى الصغر والكبر والقوة والضعف والذكاء والبلادة وتباين الأشكال والهيئات والأصناف وما فيه من عجيب التركيب وغريب التأليف وما فيأعضائه من إحكام الصنع وإتقان الوضع حتى وفى كل عضو بوظيفته واذا نظرنا فى أنفسنا وما اشتمل عليه الجسد الانساني من غريب الصنع وبديع التركيب لأخذتنا الحيرة وأدركتنا الدهشة وفي الاطلاع علي كتب التشريح الانساني وما بينته من أعضاء الانسان ووظائفها وغرائب أبنيتها وتراكيبها وانتظاماتها ودقيق صنعها عبرة لأولي الأبصار ومن أغرب مافى الانسان حواسه من السمع والبصر والذوق والشم واللمس واغربها حاسة البصر وما احتوت عليه من باهر الصنع بوضع طبقات العين وأشكالها وصفاتها وانتظامها وإحكامها علي نواميس كونية حتي وفت بوظيفة الابصار التى تحتار في كيفيته الافكار وتالله إنالعلوم التى تكفلت بالكلام علي هذه العوالم وشرح حقائقها وأحوالها وان تكن قد جاءت بكثيرمن عجائبها مما الاطلاع عليها يربى الايمان فى القلوب لمن وفقه الله تعالي ويشهد لصانعها بعظيم القدرة وكمال العلم والحكمة لكن ماانطوي علمه من عجائبها ودقائق حكمها واسرارها هو بحر عجاج لاتدركه العقول ولاتفي بالاحاطة به الروايات والنقول فسبحان من كانت هذه الكائنات بإرادته وقدرته وتدبيره وحكمته فبعد التأمل فى حدوث

هـذه الموجودات وانه لابد لها من صانع هو رب الارض والسموات نعلم قطعا
ان كل جائز عقلا مهما كان عظيما جسيما وغريبا عجيبا فهو داخل تحت تصرف
قدرة هذا الاله القادر العليم الحكيم ولكن وجدنا أنه سبحانه قد وضع في تكوين
هذه الكائنات وتصوير تلك العوالم أسبابا وقوانين جرت عادته تعالي في إحداث
هذه الحوادث عندها فجعل مثلا حدوث النبات بواسطة التراب والماء والحرارة
وحـدوث الحيوان بواسطة انتقال مادته الأصلية من الذكر الي الانثي وتميته
في جوف الانثي بوسائط شتى مع مرور زمن مخصوص علي كل من هـذين
التكوينين ولكن لدي تدقيق النظر والبحث في الادلة العقلية وملاحظة عظيم
قدرته سبحانه وكمال علمه وتدبر عجائب صنعه ظهر لنا معشر أهل السنة والجماعة
أن جميع تلك الاسباب والقوانين التي وضعها الله سبحانه وجرت عادته في
إحداث الحوادث عندها ماهي الا عادية بمعني أن عادته تعالى جرت باحداث
الحوادث عندها لا بتأثيرها وان الزمن الذي خصص لتكونها وحدوثها ماهو الا
عادي أيضا وهو سبحانه وتعالي قادر علي إحداث تلك الحوادث بدون تلك
الاسباب والقوانين و بدون مرور ذلك الزمن الذي يكون ظرفا لتكونها
وحدوثها ويظهر ذلك لمن تأمل أن التراب والماء والحرارة لايظهر فيها أدني
داع لان تصور أنواع النباتات كل نوع منها علي لون وطعم ورائحة وشكل
خاص وليس عندها قدرة وعلم وارادة تؤهلها للتصرف في أنواع النبات ذلك
التصرف العجيب الغريب وأيضاً انا نجد بعض أنواع النباتات مشتملا على
دقائق من الصنعة وغرائب من الوضع قد يحدث في زمن قصير جدا ونجد نوعا
آخر بسيط التكوين ليس فيه تلك الدقائق ولا يحتوى علي تلك الغرائب قد
يحدث في زمن طويل ممتد وهذا تنبيه من الحق تعالي علي أن الزمن ليس شرطا

متوقفا عليه التكوين توقفا لازما عقلا بل ان ذلك الزمن لم يجعل ظرفا للتكوين الا عادة جرت للحق تعالى من غير احتياج اليه والا فلو احتيج اليه لكان الشيء الاغرب فى الصنعة أطول زمنا من الشيء الذي يكون دونه في الغرابة وبما تقرر ظهر أن الله تعالى الذي أحدث هذه الكائنات قادر على إحداثها بدون تلك الشروط والاسباب والأزمنة الموضوعة لتكونها فيجوز أن يوجد الله تعالى نباتا في لحظة طرف أو أقل بدون تلك الأسباب التى جرت عادته أن يحدث النبات عندها وقادر على إيجاد حيوان كذلك وعلي قلب الجماد نباتا أوحيوانا فى لحة طرف وإحداث أعظم من ذلك من خوارق العادات ولكن ذلك منه سبحانه لم يكن مطردا بل قد يجريه على يد رسول من رسله معجزة مصدقة له بدعوي الرسالة كاقلب عصاسيدناموسي عليه الصلاة والسلام ثعبانا ثم أعادها عصافى زمن يسير وهكذا توجيه جميع خوارق العادات التى نقل لنا وقوعها معجزات للرسل عليهم الصلاة والسلام جرت علي أيديهم تصديقا لهم مثل انفلاق البحر وانشقاق القمر وكلام العجماوات ومجيء عرش بلقيس فى لحة طرف وبعد ذلك كله فانك تري بعض من استولت الغفلة علي قلوبهم قد سترت عنهم عظمة مصنوعات الله تعالي المعتادة لديهم وغرابتها لكثرة مشاهدتهم لها ويعجبون من حدوث شيء نادر الوقوع لم تجر العادة فى بروزه لدي حواسهم وربما يكون هذا الشيء فى العظمة ودقة الصنعة دون ماجرت العادة بحصوله وألفته أنفسهم وما ذلك الالعدم اعتيادهم علي مشاهدة ماندر وقوعه حتى ربما كذبوا من يخبرهم به أشد التكذيب وان كان ثقة عندهم مثلا تراهم يعلمون أن التراب ينقلب نباتا ثم غذاء ثم دما ثم نطفة ثم بعد انتقاله لرحم الأنثي ينقلب علقة ثم قطعة لحم ثم تتصور حيوانا سميعا بصيرا شاما ذائقا لامسا ثم يخرج من بطن الأنثي ضعيف العقل والقوي ثم يصير

قويا صلبا ولبيبا حاذقا وعالما مدققا ويقول أنا وأنا وما جسده الا قبضة تراب وسيعود كما كان ومع ذلك لايعجبون من جميع ماجري فى هذه التحولات والأطوار واذا أخبرهم مخبر أن فلانا الرجل الصالح قد شفي الله تعالي فلانا المبتلي بالبرص علي يديه بمجرد أنه لمسه ودعا له تجدهم قد عدوا ذلك من المحال وحسبوا الخبر به من خرافات الاقوال ولو كان المخبر من أصدق الرجال والحال أن شفاء ذلك الابرص علي ذلك الوجه ليس بأعظم من تكون الانسان بتلك الاطوار العجيبة بل دونه في العظمة بكثير وليس الفرق بين الامرين الا أن الاول قد جرت به العادة والثاني ليس كذلك ولكن مادمنا نعتقد أن الموجد لكلا الامرين هو الله القادر العليم الفاعل المختار فأى داع يدعو للاذعان بالاول والانكار للثاني نعم لو أن الدعوي ان ذلك الرجل الصالح قد أوجد شفاء الابرص بقدرته كان للانكار وجه وذلك لعدم صلاحية قدرته لاحداث هذا الشفاء ولكن الدعوي ان الله تعالي قد شفي الابرص علي يديه كرامة أكرمه بها فلا وجه للانكار مادام المخبر صادقا موثوقا به ونسب ذلك التأثير لله تعالي الذي هو قادر علي كل جائز وهذا الامر كان من الجائزات . اذا احتطت علما بجميع ماقررناه فاعلم أن الله تعالي لما أرسل الرسل للخلق أيدهم بالمعجزات لتكون دليل صدقهم فى دعواهم الرسالة والمعجزة هي أمر خارق للعادة يظهر علي يد مدعي الرسالة من الله تعالي فالرسول عند مايدعو القوم الذين أرسل اليهم الي تصديقه وامتثال الشرع الذي يبلغهم اياه عن الله تعالى لابد أنهم يريدون منه دليلا على صدق دعواه فيقترحون عليه خرق العادة فى الأمر الفلانى والامر الفلاني من نحو انشقاق القمر وخروج ناقة من الصخر وغير ذلك فالله سبحانه وتعالى يخرق العادة علي يد ذلك الرسول ويوجد مااقترحه عليه أولئك القوم وحينئذ يظهر لهم

صدقه في دعواه و يؤمنون به و بما جاء به من عند الله تعالى لانهم يلزمهم أن يقولوا حينئذ في الاستدلال إن هذا الامر الخارق للعادة لايقدر علي ابرازه للوجود الا الاله القادر عليه ولولا أن ذلك الرجل المدعي الرسالة صادق لما أبرز الله تعالي على يديه ذلك الامر الغريب فابرازه على يديه هو تصديق له من جانب الله تعالي بلا ريب فالمعجزة تكون فى حق ذلك الرسول وفى حق قومه بمنزلة قول الله تعالى صدق عبدي في كل مايبلغه عني ونظير ذلك في رجل ادعي في حضرة ملك أنه سفير بينه و بين رعيته الحاضرين في حضرة الملك وعليهم أن يصدقوه فيما يبلغهم عن ملكهم فطلب منه أولئك الرعايا مايدل على تصديق الملك له في تلك الدعوى فقال إن علامة تصديق الملك لى في ذلك انه يقوم الآن عن كرسيه ويخطو سبع خطوات ويفعل ذلك ثلاث مرات على خلاف عادته فبمجرد سماع الملك ذلك قام عن كرسيه وفعل مثل ماقال الرجل فلا شك أن القوم الحاضرين يجزمون حينئذ بصدق ذلك الرجل و يعدون قيام الملك بتلك الكيفية تصديقا له فيعتمدون جميع مايبلغهم ذلك الرجل عن ملكهم ومن يقل بخلاف هذا فهو من الحمق بمكان أو مكبل بقيود العناد والخسران واذا بلغنا الي ههنا فنقول

إن المعجزات التي أظهرها الله تعالي علي أيدي الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام هى كثيرة جداً فلنذكر منها ما اشتهر وذكر فى القرآن المجيد أوفي صحيح الأحاديث النبوية ونشرح توجيه حصول تلك المعجزات علي قانون العقل السليم حتى تندفع شبه المبطلين المنكرين لها من أهل الضلال ويزداد بذلك يقين أهل الحق وعصابة الايمان ولكن بعد أن نتكلم علي أشهر المعجزات المذكورة فى القرآن لبعض الرسل نفرد فصلا لمعجزات نبينا محمد صلي الله

تعالي عليه وسلم ونتكلم على بعض الطرق التى أوصلت اتباعه الي الحظوة بتصديقه واتباع طريقه فنقول

من المعجزات التى ذكرت في القرآن الشريف معجزة سيدنا موسي علي نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام بانفلاق البحر حين ضرب به بعصاه حتى مر بنو اسرائيل فيه ونجوا من فرعون ثم أهلك الله تعالي فرعون وقومه بانطباق البحر عليهم عند ماأرادوا لحوق موسي وقومه فاعلم أن من بلغه خبر هذه المعجزة إن كان منكرا لوجود إله العالم والعياذ بالله تعالي فهذا يكون الصواب في حقه أن تقام له الدلائل علي اثبات وجوده تعالى واثبات صفاته الجليلة ثم بعد ذلك يبين له حال المعجزات وان كان مؤمنا بوجود الخالق سبحانه فمتى تصور عظمة قدرته وتأمل فى عظائم أعماله وتصور أن انفلاق البحر ماهو الاجائز عقلي من جملة الجائزات الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى لأن العقل يحكم بقبوله للثبوت والانتفاء ولا يلزم من ثبوته محال فلا مانع يمنعه من التصديق بذلك ومما يوضح جواز انفلاق البحر أن الماء قابل للانقسام كبقية الأجسام وقابل للتماسك كما يشاهد تماسكه بالجمود بالبرد مثل ما يرى فى الأنهر العظيمة التى تجمد أيام البرد وتمر عليها الحيوانات وان كان انفلاق وتماسك ماء البحر بتلك السرعة حتى مر بنو اسرائيل بين قطعه ثم رجوعه الي السيلان سريعا حتى غرق فيه فرعون وقومه أمورا عظيمة تحتاج الي قدرة تامة فالله سبحانه وتعالي تام القدرة فلا يعجزه ذلك فنحن معشر المسلمين لما أخبرنا بهذه المعجزة القرآن الكريم علي لسان رسول الله سيدنا محمد صلى الله تعالي عليه وسلم الذي ثبت صدقه لدينا بالبراهين العديدة وهى من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالي التامة آمنا وصدقنا بذلك من دون شك ولا ريب وكل منصف اذا تأملها لايجدها من المحالات والله قادر علي احداثها

تأييدا لرسوله وحفظا لعباده المؤمنين و إهلاكا لأعدائه الكافرين

ومن المعجزات التى ذكرت في القرآن المجيد أيضا لسيدنا موسي عليه السلام نبع الماء من الحجر عند ماضرب به بعصاه بأمر الله تعالي فقيل كان حجرا مخصوصا وقيل المراد أي حجر كان وهنا يقال أيضا ان من بلغه خبر هذه المعجزة ان كان منكرا للخالق تعالي فقد ذكرنا ماهو الصواب فى حقه وان كان مؤمنا بوجود الخالق تعالي وتمام قدرته وعظيم أعماله فيكفيه لتصديق هذا الأمر أن يتصور أن نبع الماء من الحجر له طريقان جائزان الاول أن الله تعالي يخلق ويبرز من العدم مقدارا من الماء يكفي بني اسرائيل ثم يجعل سبيل بروزه فى مشاهدتهم من الحجر عند مايضرب به موسي والثاني أن يحول الله تعالي الهواء ماء ويجعل سبيل بروزه في المشاهدة أيضا من الحجر وتحول الهواء ماء وعكسه هو من الأمور الجائزة التي دخلت تحت تصرف قدرة الكيماويين كما يعلم من فن الكيمياء وفي هذا العام قدروا ان يحولوا الهواء سائلا من السائلات فما بالك بقدرة من خلق الكيماويين وجميع أعمالهم فنحن معشر المسلمين لما أخبرنا بذلك الصادق و رأينا أن ذلك من الجائزات الداخلة تحت تصرف القادر سبحانه آمنا وصدقنا به وبأن الله تعالي أوجده معجزة لسيدنا موسي عليه السلام وابقاء لحياة عباده بنى اسرائيل الذين أعوزهم الماء فى التيه

ومن معجزات سيدنا موسي عليه السلام المذكورة في القرآن الشريف انقلاب عصاه ثعبانا كبيرا ابتلع الحبال والعصى الكثيرة التى سحرتها سحرة فرعون وخيلتها للناس حيات فهذه المعجزة أيضا يقال فيها ان السامع بها ان لم يكن مؤمنا بالخالق تعالي و بعظيم قدرته فقد تقدم ماهو الصواب فى حقه و إن كان مؤمنا بالخالق تعالي فيكفيه لتجويز وقوع هذه المعجزة تصوره أن مصنوعاته تعالي

العظيمة من عوالم النبات والحيوان كلها حدثت بقدرته وتكوينه وقد حول موادها من صورة الى صورة فقلب التراب نباتا والنبات حيوانا وأن الاسباب التى جعلها فى هذا الكون لحدوث هذه الكائنات والأزمنة التي جعلها ظروفا لحدوثها ماهي الا عادية والله تعالي قادر علي تلك الأعمال بدون تلك الاسباب وبدون تلك الازمنة وأن الله تعالي قادر علي إعدام الاجسام أو تفريقها هباء لاتدركه الأبصار . فنحن معشر الأمة المحمدية لما أخبرنا الصادق بحصول تلك المعجزة لسيدنا موسي عليه السلام ونحن نعتقد بكمال قدرة الله تعالي عليها وعلى أعظم منها من الجائزات آمنا وصدقنا بها وقلنا لامانع من أن الله تعالي قلب تلك العصا التى هي جسم نباتي ثعبانا عظيما وكبر جسمه بضم بعض الاجسام الارضية اليه و بعد أن ابتلع الحبال والعصي أعاده عصا بقدر ما كانت وأفنى الاجسام التى زادها في تكبيره وأجسام الحبال والعصي التى ابتلعها أو فرق جميع ذلك وصيره هباء لايرى وكل ذلك أوجده الله تعالى بدون الاسباب والازمنة العادية التى شرعها في الكون لذلك الصنع اذ هو قادر علي ذلك وكان خرق العادة فى هذا الحال معجزة دالة علي صدق رسوله موسي عليه الصلاة والسلام

ومن معجزات سيدنا موسي عليه الصلاة والسلام التى أخبر بها القرآن المجيد رفع الطور وهو الجبل فوق بنى اسرائيل حتي قبلوا الميثاق وهذه المعجزة يسلم بجواز وقوعها من يؤمن بوجود الاله القادر و يتأمل فى أعماله العجيبة وأنه كم رفع من أجرام عظيمة جدا وأقامها فى الفراغ وان قيل علي مذهب المتأخرين من الفلكيين أن تلك الاجرام قائمة في الفراغ بناموس الجاذبية قلنا ان من أوجد ذلك الناموس هو قادر على إحداث ناموس نظيره لرفع الطور على أن الاسباب التى وضعها سبحانه وتعالي فى هذا الكون ماهي الاعادية علي ماتقدم بيانه فهو قادر

سبحانه علي إيجاد هذه الكائنات بدون وجود أسبابها فنحن معشر المصدقين بالقرآن الكريم قد أخبرنا بهذه المعجزة الصادق وهي من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف القادر الذي نؤمن بوجوده و بكمال قدرته فنؤمن ونصدق بحصولها بقدرة الله تعالي معجزة لسيدنا موسي عليه السلام وترهيبا لبني اسرائيل حتي قبلوا الميثاق ومن معجزات سيدنا موسى عليه السلام ارسال الجراد والقمل والضفادع والدم على قوم فرعون وانزال المن والسلوي علي بنى اسرائيل فى التيه وهذه الاشياء يؤمن بجواز وقوعها من يؤمن بالله تعالي القادر على هذه الامور وأعظم منها وتوضيح جوازها أنه يشاهد الي الآن فى هذا الكون ارسال الجراد وغيره من الحيوانات المؤذية كالديدان والفيران على زرع قوم دون قوم ويشاهد أن بعض الأقاليم يفسد ماؤها ويورث شربه أمراضها لاهلها وبعد البحث عن سببه يظهر أنه قد تولد فى ذلك الماء حيوانات صغيرة جدا لاتدرك الا بالمكبرات ولعل الدم كان من هذا القبيل ويشاهد أيضا أنه قد يقع عوض المطر أشياء لم يعتد وقوعها ويعلل وقوعها أهل البحث بأن ريحا نقلتها من مكان آخر وأنزلتها على آخرين فما دام الحال أن جميع تلك الاشياء من الجائزات عقلا المشاهد نظيرها فى أيامنا فما المانع من أن الاله سبحانه أوجدها علي يد موسي عليه السلام معجزة له وترهيبا للقبط أعدائه ورزقا لبني اسرائيل الذين كانوا في التيه يعوزهم القوت فتفضل عليهم تعالي بالمن والسلوى فنحن معشر المسلمين نؤمن بحصول جميع تلك الجائزات علي يد موسي عليه السلام بخلق الله تعالى معجزة له كما أخبرنا بذلك الصادق

ومن المعجزات التي ذكرها القرآن الشريف خروج ناقة من صخرة علي يد سيدنا صالح عليه الصلاة والسلام عند ماطلب منه قومه ذلك حتى يؤمنوا به فمن

يسمع هذا الخبر و يكون مصدقا بوجود الاله القادر يكفيه للتصديق بجواز ذلك أن يتصور عجائب صنعه تعالي وانه قادر على قلب التراب حيوانا وتحويل المواد الى صور مختلفة اذ لامانع من أن الله تعالى صور قطعة من نفس مادة تلك الصخرة من باطنها بصورة ناقة وقلبها للحيوانية بصورة النياق وجعلها حية حساسة ثم فلق الصخرة عنها وأخرجها لقوم صالح معجزة له عليه السلام فان الاسباب والأزمنة التى جعلها عادته سبحانه في تكوين الحيوانات ماهي الا عادية وهو قادر علي إيجاد الحيوانات بدونها وكم يوجد في باطن الصخور حيوانات مثل الدود لايدرى الباحثون كيف تخلقت داخل الصخر ويوجد حولها نبات دقيق مثل العفن الذي يظهر علي الحيطان الرطبة تتغذي به وكلما رعته نبت غيره وقد شوهد ذلك ونقله الثقاة فما دام هذا جائزا في مثل هذه الحيوانات فهو جائز في مثل الناقة اذ لافرق الا بالكبر والصغر وهو لايفيد الاستحالة في الكبير دون الصغير فنحن معشر المؤمنين نعتقد بحصول تلك المعجزة لانها من الجائزات الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى وقد أخبر بها الصادق فهي حق وصدق بلا ريب * ومن المعجزات التى أخبر بها القرآن المجيد عدم احتراق سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام بالنار العظيمة التي ألقاها فيها الملك الكافر الذي حاجه ابراهيم عليه السلام فمن يكن مؤمنا بوجود الاله القادر و يعتقد أن النار لاتحرق بطبعها ولا بقوة أودعت فيها بل احراقها هو بخلق الله تعالي وعدم احراقها من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف الاله سبحانه وان كان ذلك خلاف العادة فلا مانع يمنعه من تجويز وقوع هذه المعجزة ومن ينكر وجود الخالق تعالي ويعتقد أن النار تحرق بطبعها فهذا يكون الصواب في حقه أن يقدم له أولا الدلائل الدالة علي وجود الاله سبحانه وعلى قدرته علي كل الجائزات و يوضح له أن

النار ليست محرقة بطبعها بل بخلق الله تعالي الاحراق عند ماتمس شيئا قابلا للاحتراق اذ لاموجد فى نفس حقيقتها يقتضي أن تحرق الاجسام لانه ان قيل إن موجب احراقها هو النور الذي فيها وهو مولد الحرارة المحرقة قلنا هذا نور الحباحب وهو الحيوان الصغير الذي يوجد في الليل علي النباتات وفي مؤخره نور يسطع والمادة التى ينبعث منها ذلك النور مادة حيوانية فصفورية لاحرارة فيها ولا احراق وكذلك كثير من المواد الفصفورية كما يعلم من فن الكيمياء وان قيل ان موجب الاحراق في النار هو اتحاد العناصر الذي تتكون النار بسببه علي زعم الكيماويين المتأخرين قلنا نطلب البيان الكافى . لم كان هذا الاتحاد موجبا للاحراق دون جميع الاتحادات التى تحصل بين العناصر والاجسام الكيماوية كما يعلم من فن الكيمياء وان قيل ان موجب الاحراق هو الحركة المخصوصة للاجزاء الفردة للجسم مع الاجزاء الفردة للأكسجين أحد جزئى الهواء كما يقول أيضا المتأخرون من الكيماويين قلنا نطلب التوضيح الشافى . لم كانت هذه الحركة موجبة للاحراق دون جميع الحركات التى تحصل بين أجزاء الاجسام المتحدة على قول أولئك الكيماويين ولم لم تكن حركة أجزاء الجسم الذي تنشأ عنه البرودة المفرطة حتى يجمد بها الماء موجبة للاحراق ولم خصت الحركة الأولى بالحرارة والاحراق والحركة الثانية بالبرودة والتجميد فبهذا يظهر أن الخصم لايسعه الا أن يقول لاأدري الا أن كلا قد خص بما ينشأ عنه ولا بد من مخصص فنقول له نحن نعلم ذلك المخصص هو الله تعالي الذي خص ماشاء بما شاء فاحراق النار ليس الا بخلقه وإيجاده وليس في النار شيء يقتضي أن يؤثر بالاحراق ولا بسواه بل هي مسخرة تحت تصرفه سبحانه وتعالى ان شاء أنشأ عنها الاحراق والاعدام وان شاء أنشأ عنها البرودة والسلام نعم قد جرت عادته

سبحانه في هذا الكون أنه جعلها محرقة بخلقه وإيجاده فاذا أراد خرق العادة بعدم خلق الاحراق فيها فلا مانع يمنعه ولا حجر عليه وقد أشار سبحانه الى خرق العادة فيها معجزة لسيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام بما تلاه علينا فى القرآن المجيد من قوله فى خطاب النار (يانار كوني بردا وسلاما علي ابراهيم) وهذا كناية عن أنه تعالى لم يخلق فيها الحرارة والاحراق بل خلق ضد الحرارة فيها وهو البرودة وجعلها سلاما وأمانا لا برودة مهلكة فنحن معشر المؤمنين لما أخبرنا الصادق المصدوق بهذه المعجزة آمنا وصدقنا بحصولها ولا مانع يمنع من تصديقها وهي من جملة الجائزات الداخلة تحت تصرف خالق الارض والسموات

ومن المعجزات التى ذكرت فى القرآن الشريف ماجرى على يد سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام من شفاء الابرص والاكمه وإحياء الموتي باذن الله تعالى فمن كان مؤمنا بالله العالم سبحانه وتصور عجائب أعماله من تحويل التراب الي حيوانات متنوعة لا يمتنع من تجويز إحياء الموتي بقدرته تعالى وشفاء المرضي وابراء الاكمه معجزة لسيدنا عيسي عليه السلام فان هذه المذكورات من الجائزات العقلية وهي في نظر العقل أسهل من خلق الحيوان من التراب وابرازه سميعا بصيرا وان كان كلا الامرين لدي قدرة الله تعالى علي حد سواء اذ لا يقال في حقه تعالى إن الشئ الفلاني سهل والشئ الفلانى أسهل عليه بل الجميع تحت تصرفه بالسوية والوسائط التى جعلت أسبابا فى حدوث مثل هذه المذكورات ماهى الاعادية وكذلك الزمان الذي جعل ظرفا لحدوثها والله تعالى قادر على خرق العادة وايجاد هذه الامور بدون تلك الاسباب والزمان كما مر بيانه فنحن معشر الموحدين قد أخبر الصادق بهذه المعجزات وحصولها على يد سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام فآمنا بها وصدقنا

ومن المعجزات التى ذكرها القرآن الكريم وجرت علي يد سيدنا عيسى عليه السلام أيضا تصويره من الطين كهيئة الطير ونفخه فيه فيصير طيرا باذن الله تعالي . فما دمنا نعتقد أن الله تعالى هو الذى خلق جميع هذه الحيوانات الموجودة فى الدنيا علي تنوع أنواعها من التراب وأن الاسباب التى وضعها لتكونها والزمن الذي جعله ظرفا لتصورها كل ذلك أمر عادي والله تعالى قادر علي إيجاد ذلك بدون تلك الاسباب وذلك الزمان فلا مانع يمنعنا من تجويز وقوع تلك المعجزة الخارقة علي يد سيدنا عيسي عليه السلام بخلق الله تعالي كما قال سيدنا عيسي عليه السلام باذن الله وحيث قد أخبرنا بذلك الصادق المصدوق فقد آمنا وصدقنا بحصوله معجزة موئيدة لدعوى ذلك الرسول الكريم

ومن المعجزات التى أخبر بها القرآن الشريف وجرت علي يد سيدنا عيسي عليه السلام نزول مائدة من السماء ليأكل منها أصحابه الحواريون رضي الله تعالى عنهم وذلك أمر جائز اذ لامانع يمنع العقل من التصديق بنزول أى جسم كان من جهة السماء كما نري الامطار وبعض أجسام أخرى تخبر بها علماء الارصاد وما دمنا نعتقد بقدرة الله تعالى علي خلق جميع الاجسام فالله سبحانه وتعالي قادر على خرق العادة وخلق المائدة وانزالها من السماء علي يد سيدنا عيسي عليه السلام وأصحابه معجزة له وتأييدا لدعواه ونحن آمنا بوقوعها لاخبار الصادق بها

ومن المعجزات المذكورة في القرآن الكريم تسخير الشياطين والريح لسليمان وإلانة الحديد لداود عليهما الصلاة والسلام فكل ذلك من الجائزات العقلية التى لايحكم العقل باستحالتها داخلة تحت تصرف الاله القادر فالشياطين من جملة عبيد الله تعالي قابلون للتسخير مقهورون تحت أمر خالقهم سبحانه والريح انما تسييرها وتصريفها فى الاكوان بقدرته عز وجل والحديد معدن قابل للالانة

وان جرت عادة الله تعالي في إلاتته بسبب الحرارة ولكن ذلك سبب عادي والله قادرعلي إلاتته بدون ذلك السبب فلا مانع من إيجاد الله تعالى لهذه الخوارق علي يد هذين الرسولين الكريمين معجزة لهما وتأييدا لدعواهما الرسالة ونحن معشر أهل الايمان المصدقين بقدرة الله تعالي العظيم الشأن وبجواز هذه الحادثات و بصدق القرآن المجيد قد آمنا وصدقنا بحصولها بدون شك ولا ريب وهي بالنسبة لأعمال الله تعالى المشتملة علي أعجب العجائب وأغرب الغرائب لايستبعد العقل السليم منها شيأ والله الهادي الي سواء السبيل

و بقيت معجزات للرسل عليهم الصلاة والسلام سنذكر بعضا من مشهورها في الفصل الآتي لمناسبة بينها و بين معجزات سيدنا محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام

﴿ الفصل الثالث في بيان معجزات نبينا سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم و بيان بعض الطرق التى كانت برهانا علي صدق دعواه ﴾

من أعظم المعجزات التى جاء بها سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام القرآن الشريف فهو المعجزة الباقية الى انقضاء الدنيا بخلاف بقية المعجزات فان كلامنها قد انقضى بحينه ولنشرح هذه المعجزة العظيمة والخارقة الجسيمة علي وجه يفهمه الخاص والعام ولا يعتريه شبهة لذى الافهام فاعلم أن من حكمة الله تعالي البالغة أنه قد يؤيد رسله بمعجزات من قبيل مافاق و برع فيه القوم المرسل اليهم حتي تنقطع حجتهم عن رسولهم بأنا نجهل جنس ماجئت به من خارق العادة فلعلك تعلم طريقا في إيجاده لانعلمها نحن ولا يكون فى الحقيقة الأأمرا معتادا مثلا عند ماأرسل الله تعالى سيدنا موسي عليه السلام كان فن السحر شائعا فى القبط قوم فرعون ولهم فيه المهارة التامة و يعلمون ماهو الممكن للبشر معرفته وصنعه منه ومالا يكون فى طوقهم فلما سحر السحرة منهم الحبال والعصي بأمر فرعون وصارت تري

حيات تسعى ألقى سيدنا موسى عليه السلام عصاه باذن الله تعالي فقلبها الله تعالى ثعبانا عظيما فابتلعت تلك الحيات الكثيرة ثم لما أخذها بيده عادت عصا كما كانت فخر السحرة ساجدين لله تعالى وآمنوا برسالة موسي وصبروا على تعذيب فرعون لهم وقتلهم بالصلب فى جذوع النخل وما ذاك الا أنهم لمعرفتهم فن السحر وعلمهم بمقدار مايدخل منه في طوق البشر وما لا يدخل أيقنوا أن تلك الخارقة وهي انقلاب العصا ثعبانا كبيرا ابتلع الكثير من الحبال والعصى المسحورة علي صورة الحيات ثم عاد عصا كما كان وتلك الحبال والعصي عدمت وتلاشت من الوجود ماهي من نوع السحر وليس فى طوق البشر الوصول الى هذه الدرجة منه فآمنوا بأنها من خوارق العادات التى لايقدر عليها إلا رب الارض والسموات أوجدها معجزة لموسي مؤيدة لدعواه الرسالة ومن لم يكن من أهل المعرفة في فن السحر يمكنه الاستدلال علي صدق سيدنا موسي عليه السلام بسبب تصديق أولئك السحرة له بأن يقول إن هؤلاء السحرة لاشك أنهم متمسكون بدين أبائهم وأجدادهم ومتعززون بسلطنة فرعون ويخافون من مخالفته الهلاك ثم لهم الدراية فى فن السحر وبمقدار مايدخل في طوق البشر منه ومالا يدخل فلولا أنهم علموا يقينا أن تلك الخارقة التي ظهرت علي يد موسي ليست من نوع السحر ولا يدخل فى طوق البشر الوصول اليها لما آمنوا بموسي وتركوا دينهم ودين آبائهم وزهدوا في عزة فرعون ورضوا بالتعذيب والصلب في جزوع النخل فقالوا لفرعون (فاقض ماأنت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا) فايمانهم بموسي مع ذلك كله أعظم دليل علي صدقه بدعوى الرسالة وأن تلك الخارقة أظهرها الله تعالي علي يده معجزة شاهدة بصدقه وأما من لم يرد الله تعالي فيه خيرا كما وقع لفرعون فانه ضل عن هذا الاستدلال واتبع طريق الشبهة وقال للسحرة انه يعنى موسى (كبيركم

الذي علمكم السحر) وهي شبهة باطلة إذ لايخفى أن موسي من بني اسرائيل الذين كانوا مستعبدين للاقباط قوم السحرة أصحاب السلطنة والملك فلا داعي يدعو أولئك السحرة الي مخالفة فرعون باتباع موسي ولو فرض انه هو الذى علمهم السحر كما قال فرعون أيصدق العقل انهم يقدمون علي ذلك لمجرد تعلمهم منه ويقبلون الذلة بعد العز والقتل والصلب عوض الحياة وهم عقلاء يميزون الخير من الشر فلولا اعتقادهم الجازم بأن تلك المعجزة ليست من نوع السحر وهي دالة على صدق موسي فدعوي الرسالة وانهم وان فارقوا عز الدنيا وعدموا حياتها الفانية فسيعوضون بعز الآخرة وحياتها الأبدية لما أقدموا ذلك الاقدام وقبلوا ماقبلوا فشبهة فرعون أضعف من بيت العنكبوت وقد جاء بها إما تكبرا وعنادا وإما جهلا وشقاء وكذلك لما بعث الله تعالي سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام كان فن الطب شائعا في بنى اسرائيل فكان من حكمته تعالي أن جعل الكثير من معجزاته عليه السلام من قبيل أعمال أهل الطب فابرأ علي يديه الأبرص والأكمه وأحيا الموتي فأهل المعرفة فى علم الطب لايحتاجون في تصديق رسالته إلى أمر صعب بل من الواضح لديهم أن يقولوا إننا نعلم فن الطب ومقدار مايمكن الانسان أن يبلغه فيه من الاعمال وما يمكنه فيدخل في طاقة الاطباء الحذاق أن يشفوا الأبرص لكنه بمعالجة مخصوصة مع مرور زمان مخصوص وأما شفاؤه فى الحال بمجرد لمسه أو الدعاء له فهذا ليس فى طوقهم ويمكنهم أن يشفوا مرض الأعين الذي يكون عرضيا ليس مخلا بجوهر البصر وأما شفاء الأكمه عديم البصر فهذا ليس فى طوقهم واحياء الموتي أيضا ليس فى طوقهم البتة وحيث إن عيسي قد أتي بهذه الخوارق التى ليست داخلة فى طوق البشر كما يظهر لنا من الاطلاع علي فن الطب فيكون ذلك دليلا علي صدق دعواه الرسالة إذ أن تلك الخوارق ليست

الا بايجاد الله تعالي القادر على كل شئ أجراها علي يد عيسى معجزة له مؤيدة دعواه وأما غير أهل المعرفة في فن الطب فلهم أن يستدلوا علي صدق عيسي بتصديق هؤلاء الأطباء نظير مااستدل من آمن بموسي ولم يكن من أهل المعرفة في فن السحر لما شاهدوا ايمان السحرة به اذا علمت جميع ماقررناه فاعلم أنه قد نقل الينا بالتواتر المفيد لليقين أي نقل الينا الجماهير الكثيرة الذين لايحصى عددهم ويحيل العقل تواطؤهم على الكذب كاحالته مثلا تواطؤا الناس جميعا على الاخبار بوجود مكة والحال انها غير موجودة عن الجماهير الكثيرة كذلك وهلم جرا عن الجماهير الكثيرة كذلك الذين شاهدوا سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ورأوه رأى العين وأحاطوا بأحواله وبما جري له في مدة حياته مع الأمم حتي تم له تصديق الألوف من أتباعه بكل ماجاء به أنه بعد مامضي له من العمر أربعون سنة بين قومه وقدعرفوه بالصدق والامانة حتى دعوه محمدا الأمين ولم يجر له في تلك المدة تعلم القراءة والكتابة ولم يجتمع مع أهل هاتين الصنعتين اجتماعا يمكنه معه أن يتعلمهما منهم ويؤهله ذلك لاكتساب جملة معارف الأمم وشرائع الاقدمين وقوانين الممالك ولم يعثر عليه فى تلك المدة أنه كان يعاني شيأ من ذلك وكذلك لم يجر له في تلك المدة ممارسة صناعة الفصاحة والبلاغة فلم يكن له عناية بالاشعار والخطب والرسائل العربية لاقولا ولا رواية ولم يكن مولعا بمحاورة الفصحاء ومغالبة البلغاء من كل مايقوي فيه ملكة تلك الصنعتين الشريفتين ويؤهله الي بلوغ الدرجة القصوى فيهما قام بين جماهير العالم من عرب وعجم مع قلة ذات يده وفقد الناصر والمعين وليس فى آبائه سبق سلطنة قد زالت فيظن به انه يريد استردادها بالتحيل علي الرياسة فادعي أن الله تعالى قد أرسله الي الناس كافة ليبلغهم ماشرعه لهم متكفلا بنجاحهم في الدنيا والآخرة

وأن هذا الشرع يناسب زمانه الذي أرسل فيه الي انقضاء هذه الدنيا وهو ناسخ لكثير من أحكام شرائع الرسل الذين أرسلوا قبله في الزمان الماضي الذي كانت تلك الاحكام المنسوخة تناسبه وانه ينهاهم عن عوائد وأخلاق قبيحة مضرة بصالحهم ورثوها عن آبائهم أو زينها لهم الشيطان وأقبح شيء منها عبادة الأوثان والنيران والأحجار والأشجار وأنه يأمرهم بتوحيد الله تعالي واعتقاد اتصافه بصفات الكمال وتنزهه عن صفات النقصان وافراده تعالي بالعبادة وأداء شكره علي نعمه التي أنعمها عليهم وبالحقيقة ذلك الشكر عائد بالمنافع اليهم كخضوعهم له في الصلوات الناشيء عنه تهذيب نفوسهم ووصلهم مع خالقهم وكزيارتهم الامكنة التي وعدهم عندها غفران السيئات الي غير ذلك من كل ما يجلب لهم الخير ويدفع عنهم الضير فعند ما سمع منه أولئك الجماهير هذه الدعوي العظيمة نفروا من قبول دعواه وعادوه أشد المعاداة وهجر منهم الاهل والخلان وكذبه الشيوخ والشبان ويحول له الارداء أعداء والموافقون أخصاما ألداء ثم أخذوا في مجادلته ومخاصمته وجرهم منهج المجادلة الي طلب الحجة وصار كل منهم يطلب منه برهانا علي صدق دعواه ويتمحل له التعجيز في كل ما يهواه وهو صلى الله تعالي عليه وسلم ينصب لهم الدلائل ويجيب منهم كل سائل ومن أعظم الحجج التي استند في اثبات دعواه اليها وجعل معظم اعتماده عليها ما تلاه عليهم من مجموع كلام عربي يسميه قرآنا ويقول انه من عند الله تعالي أرسله به اليهم وهو مشتمل علي التصريح بأنه رسول الله تعالي الي الناس كافة وأنه صادق في كل ما يبلغه عنه تعالي وهو متكفل ببيان الشرع الذي شرعه الله تعالي لهم وأنه يتحداهم بأقصر جملة منه يسميها سورة بمعنى أنه يستدل علي أنه من عند الله تعالي بعجز فصحاء أهل اللسان العربي وبلغائه عن الاتيان بما يساوي أقصر سورة منه بفصاحتها وبلاغتها

وقد كان في الامة العربية أمراء الفصاحة والبلاغة العربيتين الرائج في ذلك الزمان سوقهما بين أهل تلك الامة فكانتا أعظم علومهم وأكرم مفاخرهم وهم أكثر الناس شاعرا وخطيبا وفيهم العالمون بأساليبهما الحاملون أعلامهما والمحيطون بأسرارهما وبما هو فى طوق البشر من مراتبهما وبما ليس في طوقهم ولم يزل صلى الله تعالي عليه وسلم يصفهم بالضعف والقصور عن معارضة أقصر سورة من ذلك القرآن ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا منوها بذلك في كل محفل مشهرا له في كل جحفل ومع ذلك يسفه أفعالهم فى عاداتهم وعباداتهم ويطعن في معبوداتهم التي عبدوها بضلالاتهم فأخذ علماء الفصاحة والبلاغة منهم وأمراؤها بينهم يتأملون في ذلك القرآن ويسبرونه بمسبار التبيان ويتدبرونه تدبير الناقد البصير عسي أن يتبين لهم طريق لمعارضته وابطال حجته فلا وربك ماوجدوا ولن يوجد الى الآن وبعد الآن الي انقضاء الزمان مع وفور الفصحاء والبلغاء وكثرة الاعداء الالداء نقول هذا على رؤوس الاشهاد والقرآن ينطق به فى عدة آيات وهو يتلي في كل ناد لكن ظهر لهم أن هذا القرآن قد بلغ مرتبة فى الفصاحة والبلاغة لاتدركها القوي البشرية ولو أن أحدا كابر وعارض لجاء بالغث البارد وأصبح سخرية عند الصادر والوارد فتحقق لديهم عجزهم عن معارضته ولو بأقصر سورة منه فاقر من وفقه الله تعالي منهم بعجزهم بل بعجز البشر وبان ذلك دليل علي أنه من عند خالق القوى والقدر وصدقوا دعوي سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بالرسالة من الله وتركوا عاداتهم القبيحة وعباداتهم الباطلة واعتنقوا ماشرعه الله تعالى لهم واجتباه ثم ان كثيرا ممن لم يكونوا من أهل الفصاحة والبلاغة من الامة العربية أو من سواهم من الاعاجم وجد لهم من الاستدلال بمعجزة القرآن علي صدق سيدنا محمد صلي الله تعالي عليه وسلم بدعوي الرسالة مايقنع أفكارهم ويحملهم علي اعتناق

دينه الشريف وذلك بأن يقولوا ان محمدا عليه الصلاة والسلام قد قام بدعوي الرسالة فريدا وحيدا مخالفا لجميع العالم في عاداتهم وعباداتهم لا ناصر له ولا معين وقد ادعي عجز فصحاء العرب و بلغائهم المشهود لهم بكمال الفصاحة والبلاغة عن معارضة أقصر سورة من قرآنه الذي جاء به وهؤلاء مع تمسكهم بعاداتهم وعباداتهم الموروثة عن آبائهم والمألوفة من لدي نعومة أظفارهم ومع تعصبهم لعشيرتهم و بنى جلدتهم وليس لدي محمد من حطام الدنيا ماييعث على رغبتهم فى اتباعه ولا هو صاحب عصبية وقوة تخيفهم من بطشه لانه في أول دعواه عاداه الأهل والأرحام بل جميع الأنام فقد أقر أولئك الفصحاء البلغاء بعجزهم عن معارضة أقصرسورة من قرآنه وأن درجة الفصاحة والبلاغة المحتوي عليها لاتبلغها الطاقة البشرية وصدقوا بدعواه الرسالة من عند الله تعالي فلولا أنهم قد تحقق لديهم علي ماعندهم من كمال المعرفة فى فن الفصاحة والبلاغة أنهم عاجزون عن معارضة قرآنه وأن ذلك القرآن لم يكن الاتيان به فى طوق البشر وهو دليل على أنه من عند الله تعالى لما آمنوا بمحمد وتركوا عاداتهم وعباداتهم الموروثة المألوفة ولا رغبة هناك لهم فى حطام ولاخوف من انتقام ولا يخفي أن أصعب شئ على العاقل مفارقة دينه الذى يرجو به النجاة فى الدنيا والآخرة وأصعب شئ بعد ذلك عليه مفارقة عوائده التى ألفها وتلقاها عن أسلافه حتى أن البعض وان استشعر برداءة عوائده يصعب عليه مفارقتها وتحكم عليه نفسه بملازمتها فالعاقل لايفارق دينه الا اذا تيقن النجاة فىدين سواه ولايهجر عوائده لاسيما الموروثة المألوفة الا بسبب قوي قاهر فحال هؤلاء القوم الفصحاء البلغاء مع محمد وايمانهم به على هذا الوجه هو دليل لنا كاف لتصديقنا اياه فيما ادعاه من الرسالة من عند الله تعالى وليس ايمان هؤلاء الفرقة بالتقليد للفرقة الذين هم أهل معرفة بالفصاحة

والبلاغة بل ايمانهم بطريق استدلالى كما هو ظاهر ولهذا الطريق وأمثاله كلفت الاعاجم بالايمان برسالة نبينا عليه الصلاة والسلام وان لم يعرفوا لسانه العربي ثم ليعلم أن في القرآن استدلالا علي صدق سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فى دعوي الرسالة من طريق غير طريق اشتماله علي الفصاحة والبلاغة اللتين أعجزتا فصحاء العرب و بلغاءهم وهو أيضا معجزة من هذا الوجه خارقة للعادة لا يمكن البشر الاتيان بها و بيان ذلك أنه اذا تأمل فيه أهل الخبرة فى نقد الكلام ومعرفة الصفات الفاضلة فيه وذو و المعارف والفنون والسياسات وتدبروا أساليبه ومحتوياته ظهر لهم بالنظر الصادق أن هذا القرآن قد وجدت فيه خواص فاضلة وصفات كاملة لا يمكن فى العادة اجتماعها في مجموع كلام مهما تأنق فيه واضعه واتسع اطلاعه علي الماضي والحاضر والمستقبل وأحوال الأمم فى شؤونها أجمع والاحاطة في جميع الفنون والآداب والحكم والسياسات وتحري فيه عدم المناقضة والتضارب وحسن الاسلوب مع الانفراد عن الاساليب المعهودة عند العرب الا أن يكون القائل هو الله تعالي القادر على ذلك كله وعلي جمعه فى كلام يريد جمعه فيه وذلك أنهم يجدون هذا القرآن يخبر عن غيوب مستقبلة تأتي طبق أخباره كوعده أتباع محمد عليه السلام بدخول مكة آمنين فجاء الأمر كذلك ويخبر عن قصص الاولين وسير المتقدمين كما هي حكاية من شاهدها وحضرها ويخبر عن الضمائر من غير أن يظهر ذلك من أصحابها بقول أو فعل كما يعلم من حوادث حدثت لبعض أتباع محمد عليه السلام ولبعض أعدائه كما جاء في التفاسير وكتب الاحاديث وهو مع اتساع مجاله فى كل فن من أخبار وأحكام ومواعظ وأمثال وأخلاق وآداب وترغيب وترهيب ومدح الاخيار وذم الفجار وتحذير من قبائح السجايا ومواقع الدنايا وتدبير السياسات ومراعاة الأوداء ومدافعة الأعداء

وبمجادلة الاخصام وتبكيت الطغام وإقامة الدلائل على وجود الباري تعالي وتوحيده وعلي الحشر والنشر ودفع الشبه وازالة الريب و وصف دار النعيم وأحوال سكانها ودار الجحيم وأهوالها و وصف عالم السموات وما في العالم العلوى من الآيات من كواكب وأمطار وسحائب وبروق و رعود وعجائب و وصف الارض وجبالها وسهولها و بحارها و ينابيعها وأنهارها وما اشتملت عليه من نباتات وحيوانات ومعادن وأزهار وأثمار وأشجار وأطيار وظلمات وأنوار حتى يصح أن يقال إنه لم يبق علما من علوم الاوائل والأواخر الا صرح به أو أشار اليه علي أساليب متنوعة وطرائق مبتدعة لم يقع فيه تناقض ولم يتخلله تضارب خاليا عن جميع العيوب خارجا بحسن نظمه عن مشابهة كل أسلوب ليس له مثال يحتذي عليه ولا إمام يقتدي به فلا هو من نوع القصائد العربية ولا من الخطب البدوية ومع ذلك فهو فى العقول مستحسن وفى النفوس مستملح وفى الاذواق مستعذب وفى القلوب محبوب وللاسماع مألوف كلما تكرر حلا ومن أى الافواه سمع علا وغلا ولا يصح فى العقل السليم أن تجتمع كل تلك الصفات فيه اتفاقا ولا يصدق بالصدفة فى ذلك الفكر الصحيح فمن الواجب فى حق هؤلاء المتأملين فيه والمتدبرين فيما يحويه واللائق بأنصافهم بعد ذلك أن يقولوا إن الذى ظهر لنا وتحققناه من اجتماع تلك الصفات فى هذا الكلام البديع أنه كلام تعجز عنه قوي البشر ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فاتيان محمد عليه السلام به وهو أمي ومن المحال عادة أن يأتي به أكبر العلماء وأحذق الفلاسفة وأعظم المؤرخين وأكبر السياسيين دليل واضح على أنه من عند الله تعالي أرسل به محمدا ليكون معجزة له تدل علي تصديقه اياه فى دعوى الرسالة واعلم أن هذا الطريق فى الاستدلال علي كون القرآن معجزة أيد الله تعالى بها سيدنا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم قد هدى الله تعالى

به كثيرا من أتباعه عليه الصلاة والسلام كما هدي بالطريق الاول وهو احتواء القرآن على الفصاحة والبلاغة اللتين عجز فصحاء العرب و بلغاؤهم بسببهما عن معارضة أقصر سورة منه ولم يزل كل من هذين الطريقين سهل السلوك علي أهل المعرفة بفن الفصاحة والبلاغة وعلي أصحاب المعرفة بفضائل الكلام الى الآن و بعد الآن الى انقضاء الليالي والأيام ومن لم يكن من أهل هاتين الفضيلتين فله الاستدلال بخضوع أهلهما وتسليمهم بتلك المعجزة الخارقة للعادة حتى فارقوا دين آبائهم وعوائدهم واتبعوا سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم في دينه وهداه كما تقدم شرح ذلك قريبا وبذلك ظهر أن معجزة القرآن التي أعطيها سيدنا رسول الله صلي الله تعالي عليه وسلم هي معجزة باقية الى آخر الزمان و بقية المعجزات وان يكن قد انتفع بها من شاهدها ممن كان في عصر الرسل عليهم الصلاة والسلام وانتفع بها من نقلت اليهم بالنقل الصحيح كاهل الأعصر التي بعد الرسل لكنها لم تبق مشاهدة الي الآن و بعد الآن فلمعجزة القرآن هذه الخاصة من بقاء مشاهدتها على كرور الزمان وهذا من جملة ما أكرم الله تعالى به سيدنا محمدا صلي الله تعالي عليه وسلم وخصه به عن سائر الرسل الكرام لكن الهداية بيد الله تعالي يهدي من يشاء الي الصراط المستقيم

ومن معجزات سيدنا محمد صلى الله تعالي عليه وسلم التي ذكرت في القرآن الشريف والحديث المنيف انشقاق القمر فرقتين بطلبه عليه السلام من ربه حينما طلب منه المشركون ذلك فرأي انشقاقه الكثير من أهل مكة إسلاما ومشركين وورد الي مكة جماعات من المسافرين الذين كانوا بعيدين عنها ولكن أفق أمكنتهم مساو لأفقها فأخبروا أنهم رأوا انشقاق القمر في تلك الليلة وعدم رؤية أهل الارض جميعا لتلك الحادثة لاينافي وقوعها لان القمر بسبب اختلاق الآفاق

التى يراه منها أهل الارض لايظهر علي الناس جميعا فى آن واحد بل كل وقت يظهر لاهل أفق ويخفي عن غيرهم كما يعلم من فن الهيئة وهذه المعجزة من يسمع بها ويكون موءمنا بوجود الاله القادر ويتصور أن انشقاق القمر من الجائزات العقلية لايمتنع عن التصديق بوقوعها بعد صحة نقلها وتوضيح جوازها أن القمر ماهو الا جسم من جملة الاجسام القابلة للانقسام والالتحام

وكم يوجد فى أرضنا من انشقاق جبال عظيمة وحدوث وديان لم تكن والتحام جبال كانت منفصلة وهذه الحوادث الارضية وان تكن جرت عادة الله تعالى بايجادها بأسباب يحدثها الله تعالي من نحو الزلازل والصواعق والأمطار الغزيرة ولكن تلك الاسباب ماهى الا عادية والله تعالي قادر علي إيجاد تلك الحوادث بدون تلك الاسباب كما يعلم من كمال قدرته سبحانه وتعالي والقادر علي التصرف بهذه الاجسام الأرضية تلك التصرفات هو قادر علي التصرف في القمر بالانشقاق ونحوه اذ لافرق بينه وبينهما في الجسمية وقبول الانشقاق والالتحام الا أن القمر أكبر منها والكبر والصغر لادخل له فى قبول ذلك وعدم قبوله فى جانب قدرة الله تعالي ثم إن الروايات الصحيحة التى نقل لنا فيها تلك المعجزة تفيد أن القمر انشق فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه والمراد بذلك انه صار برأي الرائى أن فرقة منه فوق الجبل أي فى أفقه لابمعني أنها ركزت علي نفس الجبل وفرقة دونه أي في مقابلته لابمعنى انها تحت الجبل وهكذا يقول الواحد منا قد رأيت القمر فوق الجبل وخلفه وفوق البحر والحال أن القمر ليس كذلك وانما مراده التعبير عن كيفية الروءية له فلايقال إن القمر جسم كبير جدادون أرضنا بقليل على مايقوله علماء الهيئة فلا يمكن أن فرقة منه توضع على نفس جبل صغير من جبال الارض ويسعها ذلك الجبل وفرقة منه تكون تحت الجبل بالفعل لأن هذا غير مراد كما

علمت وانما نصت الرواية على كيفية هذه الرواية لتفيد أن الفرقتين من القمر قد تباعدتا عن بعضهما حتى لا يكون للمشركين اشتباه فيما لو كانتا متقاربتين فيقولون إن رؤيتنا انشقاقه هي من غلط الحس والتخيل الذي لا أصل له في الواقع ومن المعلوم ان القادر علي شق القمر فرقتين هو قادر علي تباعدهما ذلك التباعد ثم ضمهما لبعضهما ثم من غريب مايحكي عن بعض شروح المدونة أن فرقة منه نزلت لجنبه وخرجت من كمه عليه السلام فهذه الرواية غريبة لا يجب علينا الايمان بها لعدم قوة سندها فلا حاجة لنا فى تأويلها وتطبيقها علي قانون العقل ومع هذا فيمكن تطبيقها بأن تلك القطعة كانت صغيرة قابلة للنزول والخروج من كمه إذ لا صراحة في تلك الرواية بأنها كانت نصف القمر وهذا لا استحالة فيه وقدرة الله تعالي صالحة لذلك ونحن معشر المسلمين لما نقل لنا انشقاق القمر معجزة لنبينا عليه الصلاة والسلام بالنقل الصحيح وهو من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالي آمنا وصدقنا بوقوع ذلك بلا ريب

ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام وقوف الشمس مدة من الوقت وردها بعد المغيب وقد روي هذا في بعض الاحاديث وروى أيضا أن الشمس وقفت عن المغيب ليوشع بن نون عندما كان مع بني اسرائيل يقاتل الجبارين وذلك معجزة له أيضا والاحاديث في وقوف الشمس وردها وان كانت آحادية بمعني أن نقلها لم يكن متواترا قطعى الثبوت بحيث يكفر منكره لكن الايمان بذلك هو الموافق لشأن المسلمين والاسلم لهم في دينهم فنحن نؤمن به ونصدق ووقوف الشمس وردها بعد المغيب وان كان في نفسه أمرا عظيما جدا ولكنه من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى ولا يعد عظيما بالنسبة لعظيم قدرته سبحانه وتوضيح ذلك أنه سواء اعتبرنا أن الشمس هى التى تسير أو أن الارض هي التى

تدور علي محورها وتمر بأوجهها علي الشمس كما تقول به الهيئة الجديدة فكلا الامرين لم يكن الا بقدرة الله تعالي فهو الذى يسير الشمس أو يدير الارض مقهورة بقدرته وسلطانه والذي يكون قادرا علي تحريك كل من هذين الجسمين العظيمين هو قادر على ايقافهما ساعة من النهار أو علي عكس حركتهما مدة من الوقت ثم اعادة الحركة كما كانت ولا يلزم علي ذلك محال وان قيل علي فرض تسليم القول بالهيئة الجديدة وان الارض هي التى تدور لو وقفت الارض عن حركتها أو انعكست حركتها يلزم أن يبقى ماء البحر آخذا بحركة الاستمرار فكان يفيض علي اليابسة ويغرق أهلها قلنا إن القادر على ايقاف الارض أوعكس حركتها هو قادر علي سلب حركة الاستمرار من ماء البحر وجعله تابعا للأرض في وقوفها وعكس حركتها فلا يفيض حينئذ على اليابسة ولا يلتفت الي قول بعض الملحدين انه ليس من حكمة الخالق تعالي أن يوقف ذلك الجسم الكبير المبنى حركته علي ناموس عظيم فى الكون وهو ناموس الجاذبية كما يقول أهل الهيئة الجديدة لأجل غرض واحد من البشر وهو محمد أو يوشع عليهما السلام لانا نقول لم يكن ذلك الصنع منه تعالى لأجل مجرد غرض واحد من البشر وانما هو لحكمة بالغة وهي اظهار المعجزة الخارقة للعادة التى ينشأ عنها اهتداء ألوف من الخلق ويرجعون بذلك من الكفر الذي يهلك نفوسهم الي الايمان الذي يحييها الحياة الابدية وينشأ عنها تثبيت ألوف وتمكينهم بالايمان ممن آمنوا قبل ذلك ويبقى ذكرها ونقلها بين الخلق يتحدث بها الجيل بعد الجيل وينتفع بنقلها من أراد الله تعالي هداه ويتصور بها عظمة قدرته تعالى وعجيب أعماله فهذه الحكمة العظيمة توازى فى العظمة حصول تلك الخارقة وتفوقها ويليق بها أن تحصل تلك الخارقة لاجلها علي أن ذلك الملحد نظر الي مجرد عظمة تلك الخارقة ولو قابلها

بعظمة قدرة الله تعالى لما وجدها شيأ يذكر وهذه الخارقة وغرض واحد من البشر عند الباري تعالى علي حد سواء فى أن كلا منهما تحت تصرفه ومشيئته ولا يعظم شيء منهما لدى عظمته وان كان في نظرنا القاصر أننا نجد الفرق بينهما عظيما وهما عند الله سيان فى الجواز والامكان ثم إنه في بعض الروايات التى نقلت تلك المعجزة مايفيد أن الرسول طلب وقوف الشمس أو اعادتها فلا يقال على فرض تسليم رأي الهيئة الجديدة بدوران الارض أنه كان الصواب فى حق ذلك الرسول أن يطلب وقوف الارض أو عكس حركتها عوضا عن طلب ذلك فى الشمس لانا نقول علي فرض تسليم ذلك فلا مانع من أن يكون الرسول يعلم حقيقة الأمر ولكنه طلب ذلك فى الشمس بناء على الظاهر والجاري في رأي الشعب والمألوف بينهم فى الاستعمال والله سبحانه يعلم المقصود من طلبه ولا يكون ذلك غلطا من الرسول وهكذا نري أهل الهيئة الجديدة يجرون فى كلامهم علي ظاهر مايبدو لاهل لغتهم ويجري فى استعمالهم فيقولون طلعت الشمس وغربت وهم يعتقدون وقوفها وحركة الارض ولم نسمعهم يقولون طلعت الارض أو غربت أو وصلت الارض لمقابلة نور الشمس أو فارقته وكل ذلك منهم علي حسب الشائع في الاستعمال وظاهر ماتعطيه المشاهدة . اذا علمت ماقررناه واندفعت عنك تلك الشبه بما حررناه فاعلم أننا معشر المسلمين قد آمنا بهذه المعجزة اذ لامانع يمنع من وقوعها والله قادر علي إيجادها معجزة مؤيدة لرسله الكرام يهدي ويثبت بها الالوف من الانام

ومن معجزات نبينا عليه الصلاة والسلام التى نقلت الينا في الأحاديث الشريفة نبع الماء من بين أصابعه فاستقى منه العدد الكثير وتكثير الطعام القليل حتى شبع منه الجم الغفير فمن يعتقد بوجود الاله سبحانه وقدرته علي خلق الأجسام

وابرازها من العدم أو قلبها من صورة الي صورة فلا مانع يمنعه من تصديق هاتين المعجزتين وتوضيح ذلك أنه لامانع أن الله تعالى عند طلب الناس من الرسول الماء خلق سبحانه الماء أوقلب الهواء ماءوصار يبرزه للحاضرين من بين أصابع رسوله عليه الصلاة والسلام حتى اكتفي المستقون للماء وقلب الهواء ماءهو داخل تحت قدرة الكيماويين فى كتبهم وقد ورد قريبا فى المجلات العلمية أنهم اكتشفوا قلب الهواء سائلا فما بالك بقدرة خالق الهواء والماء وأهل الكيمياء وكذلك لامانع أن يخلق الله تعالي طعاما من جنس الطعام القليل الذي كان في حضرة الرسول ويضيفه اليه ولم يشاهد الحاضرون الا أن الطعام القليل قد كثر وشبع الكثير منه فحيث كان جميع ذلك من الجائزات العقلية وقدرة الله تعالى صالحة لابرازه وقد نقل لنا وقوعه معجزة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فقد آمنا وصدقنا به معشر المسلمين

ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام شفاء الامراض العضالة على يديه بمجرد لمسه لاصحابها أو دعائه لهم ورد عين أحد أصحابه بعد ماقلعت فعادت أحسن ما كانت وإحياء الميت بمجرد دعائه وهذه الخوارق قد نقلت لنا بالاحاديث الشريفة فآمنا بها وصدقنا لأنها جائزة وداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالي وهو الذى يوجدها علي يد رسوله معجزة له وتوضيح ذلك أن شفاء الأمراض وان كانت عادة الله تعالى فيه هو أن يكون بأسباب وفي زمن ممتد لكن ذلك أمر عادي والله قادر علي ابرازه بدون ذلك خرقا للعادة كما مر بيانه وارجاع العين المقلوعة وان لم تجر العادة فيه فانه من الجائزات العقلية ولا يحكم العقل باستحالته وانا نري كثيرا من الاطباء يصلون بعض أجزاء الجسم الحيواني بعد انفصاله ويلتحم بواسطة العمليات الجراحية ورد العين وان لم يكن داخلا تحت

كسبهم وقدرتهم ولكنه داخل تحت تصرف قدرة الله تعالى الكاملة التى لاتقاس قدرتهم بها وإحياء الميت فهو من الجائزات العقلية وان لم تجر العادة به وأن القادر على جعل الجماد حيوانا وإعطائه الحس والحركة والادراك هو قادر على إحياء الجسم الحيوانى بعد أن تفارقه الحياة فمن يتصور عظمة قدرة الله تعالى وعجائب أعماله لايمتنع من تصديق وقوع هذه الخارقة مادامت تنسب لفعله تعالى

ومن معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم نطق الطفل الرضيع والحيوان الاعجم والشجر والحجر وشهادتها له بالرسالة وقد نقل لنا هذا فى الاحاديث الشريفة وورد فى القرآن المجيد نظيره وهو كلام الهدهد والنملة لسيدنا سليمان عليه السلام وهذه الخوارق هى من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى وبيان ذلك أن كل شئ فى هذا الكون من أجسام وأعراض كالاصوات وغيرها هو بخلق الله تعالى فكلام الانسان الكبير هو لاشك بخلق الله تعالى ونفس طبيعته الحيوانية لاتستلزم صفة الكلام اذ لافرق بينهما وبين طبيعة الحيوانات العجم فى الحيوانية بل لافرق بينها وبين الجمادات فى أصل الجسمية كما أن صورته لاتستلزم صفة الكلام أيضا اذ قد يوجد من أنواع القرود مايشابه الانسان فى الصورة تمام المشابهة الا فى اكتساء جلده بالشعر وهذا لايكون فرقا موجبا لتخصيص الكلام بالانسان الكبير ومع ذلك فلا يتكلم ذلك القرد ولا دليل على وجوب انحصار صفة الكلام بالانسان بل قد وجد بعض الحيوانات البعيدة المشابهة عنه قابلة لتعلم الكلام وذلك كالطير المسمى بالببغا وفيما قررناه قد ظهر أن نوال الانسان لصفة الكلام ماهو الا بتشريف الله تعالى له بها وان قبل يمكن أن يكون فى الانسان الكبير شئ خفى علينا ولم يوجد فى

غيره هو الموجب له صفة الكلام ولعله الذي يسمي بالقوة الناطقة ويعد فصلا للانسان أو تكوين خاص في مخه كما يقول المتأخرون قلنا حصر الموجب للكلام في هذين غير مسلم علي أن الثابت عندنا أن مثل هذا الموجب سبب عادي والله قادر علي خلق الكلام بغير واسطته فالقادر علي خلق صفة الكلام فيه قادر علي خلقها في غيره من الطفل الرضيع والحيوان الاعجم والجماد وان كان هذا خلاف العادة فالله تعالي يخرق به العادة معجزة لرسوله فيخلق تلك الالفاظ التي وجدت من ذلك الشيء الذي لم نعهده يتكلم ويصدرها عنه ويسمعها الحاضرون فنحن معشر المسلمين قد آمنا بهذه المعجزات لانها من الجائزات الداخلة تحت قدرة رب الارض والسموات

ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام التي وردت الاشارة اليها في القرآن المجيد وبينها الحديث الشريف رميه صلي الله تعالي عليه وسلم وجوه الكفار يوم الحرب بكف من تراب فأصاب عين كل واحد منهم شيء من ذلك التراب وانهزموا وهذه الخارقة من الجائزات العقلية اذ لا مانع من وصول شيء من ذلك التراب لعين كل واحد ولكن ليس في قدرة أحد من الناس أن يوصله هذا الايصال ويوزعه علي أعينهم هذا التوزيع ولكنه في قدرة الله تعالي فهو قادر علي فعل ذلك معجزة لرسوله عليه السلام وقد امتن عليه بهذه الخارقة التي صرف بها عنه وعن أصحابه الأعداء فقال في القرآن الشريف مخاطبا له عليه السلام بقوله (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمي) يعني وما رميت حقيقة وأوصلت التراب الي كل عين من أعين الكفار حين رميت ظاهرا لان ذلك ليس في قدرتك ولكن الله هو الذي رمي حقيقة وأوصل حبات التراب لأعين أعدائك المحاربين فنحن معشر المؤمنين نؤمن بحصول هذه الخارقة معجزة لنبينا محمد صلي الله عليه وسلم

ومن معجزات سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اخباره بالمغيبات سواء كانت حاضرة في الزمان غائبة عن العيان أو كانت مستقبلة ستأتى ولو بعد مئات من السنين وهذه المعجزة بلغت الاحاديث فى كثرة حدوثها حد التواتر المعنوى وافراد حوادثها بحر لاساحل له أما إخباره عليه السلام بالمغيبات التى كانت حاصلة في زمانه وغائبة عن عيانه فذلك كاخباره بوفاة النجاشي و بالظعينة الحاملة الكتاب الي قريش وفي كتب الاحاديث من ذلك شيء كثير جدا تضيق عنه الصحف فمن أراد الاطلاع علي ذلك فليرجع اليها فيري العجب العجاب . وأما إخباره بالمغيبات المستقبلة فهو شيء كثير الحوادث منه ماوقع فى حياته ومنه ماوقع بعد وفاته بعد أزمنة قليلة أو متطاولة ومنه ماسوف يقع ولنذكر شيأ من هذا النوع مما ورد فى القرآن المجيد أو الاحاديث الشريفة على وجه الاختصار يظهر به الحق بلا إنكار . فنقول من ذلك ماورد في القرآن الشريف أن أصحابه يدخلون المسجد الحرام آمنين وكانت مكة حينئذ في أيدي المشركين وهم محاربون له ولأصحابه فدخلها هو وأصحابه عليه الصلاة والسلام وحقق الله تعالي لهم ذلك ومن ذلك قوله في القرآن (غلبت الروم فى أدني الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين) فكان الامر كذلك فبعد أن غلبت فارس الروم غلبتهم الروم في بضع سنين أي مابين الثلاث سنين الي العشر كما أخبر القرآن يعلم ذلك من السير النبوية والتاريخ وفى القرآن جملة أخبار غيبية يعلم بيانها من كتب التفاسير ومن ذلك ماورد في الاحاديث الشريفة كما رواه الشيخان وأصحاب السنن والحفاظ الائمة كأحمد والشافعي وأبي حنيفة ومالك من أنه عليه السلام أخبر أصحابه بالظهور علي أعدائهم و بفتح مكة والقدس الشريف والشام واليمن والعراق وظهور الأمن فى الممالك الاسلامية حتى تصير المرأة تسافر من الحيرة

الي مكة لا تخاف الا الله تعالي فكان ذلك ولله الحمد في حياته و بعد وفاته عليه السلام وأخبرهم بما يفتح الله تعالي علي أمته وما يؤتون من زهرة الدنيا وقسمتهم كنوز كسري وقيصر فكان ذلك وفتحت أمته بلاد كسري وقيصر وقسمت خزائنهما بينهم وأخبرهم انه يغدو أحدهم فى حلة و يروح في أخري وتوضع بين يديه صحفة وترفع أخرى يعني تفيض عليهم الدنيا و يأخذون بالتنعم بعد قشف العيش الذي كانوا فيه وكان الامر كذلك وهذا وضع صحفة و رفع أخري تحقق في كيفية تناول الطعام الذى يسمي في اللغة التركية (قالدر) وأخبرهم أنهم يقاتلون الخزر والروم و بذهاب كسري وفارس حتى لا كسري ولا فارس بعده وكان الامر على ماأخبر وأخبر أنه زويت له الارض فأري مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمته مازوي له منها وكذلك كان فامتد ملك أمته في المشارق والمغارب ما بين أرض الهند في المشرق الي بحر طنجة فى المغرب ولم يمتد فى الجنوب والشمال مثل ذلك الامتداد وأخبر بالموتان الذي كان بعد فتح بيت المقدس فكان بعد ذلك الفتح طاعون عمواس وأخبر بما ينال أهل بيته رضي الله تعالي عنهم من التقتيل والتشريد و بقتل سيدنا الحسين رضي الله تعالي عنه في الطف فكان ذلك وحسبنا الله ونعم الوكيل وأخبر عن الحسن رضي الله تعالي عنه بأنه يصلح الله به بين فئتين فكان الصلح بسببه بين الفئة التى معه والفئة التي مع معاوية وقال لسراقة أحد أصحابه كيف بك اذا لبست سواري كسري فلما أتي بهما لعمر عندفتح بلاد فارس ألبسهما لسراقة وقال الحمد لله الذى سلبهما كسري وألبسهما سراقة كما نقله السيوطى فى الجامع الصغير ونقله فى جمع الجوامع عن البخاري في التاريخ والحاكم في المستدرك ونقل بعضهم عن الامام أحمد في مسند حسن وصححه عن بشر الغنوي لتفتحن القسطنطينية ولنعم الامير أميرها ولنعم الجيش

ذلك الجيش وقد حقق الله تعالى فتح القسطنطينية على يد ساكن الجنان السلطان محمد الغازي المشتهر بأبي الفتح في عام ثمانمائة وسبع وخمسين من هجرة سيدنا محمد صلي الله تعالي عليه وسلم وأصبحت عاصمة دار الاسلام ومقر خليفة سيد الانبياء العظام وموئل الخاص والعام وما أحسن تلك الشهادة من حضرة فخر الكائنات عليه أفضل الصلاة والتحيات في حق فاتح القسطنطينية حضرة مولانا السلطان محمد الغازى بلّ الله ثراه برضوانه وأسكنه فراديس جنانه وفى حق جيشه المؤيد المنصور وما أكرمها من منحة تنشرح بها الصدور كيف وهي من أعظم المناقب الحسان لسادتنا سلاطين آل عثمان مع مالهم من المفاخر التى لاتعد والمآثر التى لايحيط بها حد بما فتح الله تعالي على أيديهم من الممالك العظيمة والاقاليم الجسيمة وجمعهم كلمة أهل الاسلام بعد التفرق وانقسام ممالك الاسلام الى أقسام عديدة وحكومات متباينة كل ذلك مع محافظتهم علي الشريعة المحمدية المطهرة وتأييد الملة الحنيفية المنورة ونصرتهم مذهب أهل السنة والجماعة وحمايتهم الممالك الاسلامية وثغورها وتعظيمهم لحملة الشريعة المحمدية من علماء الدين وتعظيمهم ومودتهم لآل بيت سيد المرسلين وأشرف النبيين إكراما لجدهم الأعظم واستمداد الروحانيته صلي الله تعالي عليه وسلم وخدمتهم للحرمين المحترمين والمسجد الاقصي وتشييدهم من الجوامع والمساجد وبيوت الأذكار وجليل الآثار مالا يحصي وتعهدهم بالعطايا صنوف المحتاجين وتطييب قلوب أفراد التبعة العثمانيين وبذل ثابت الهمم في تأييد هذا الدين وإقامة شعائر الموحدين ونشر العلوم والمعارف في سائر الاقطار وكافة النواحي والأمصار الى غير ذلك من المناقب الجليلة والمآثر الجزيلة التى ملأت الكتب والدفاتر وقصرت عن احصائها الأقلام والمحابر فالله المسؤل أن يؤيد شوكة مجدد مفاخرهم ومؤيد مآثرهم

حضرة سلطاننا الأعظم وخليفة نبينا محمد صلي الله تعالي عليه وسلم على ممر الدهور والأزمان ملحوظا بعين عناية سيد الأكوان صلي الله تعالي عليه وسلم آمين آمين . وليعلم أن هذه الاحاديث الواردة في أخباره عليه الصلاة والسلام بالأمور المستقبلة قد دون كثير منها في تآليف العلماء الأئمة الأعلام قبل أن تحدث وقائعها في الكون ثم بعد ذلك صارت تحدث واحدة بعد واحدة وتلك التآليف معلومة مشهورة معلوم تاريخ جمعها وكتابتها هذا حديث فتح القسطنطينية رواه الامام أحمد الذى كان قبل فتحها بمئات وكذلك نقله السيوطي في جمع الجوامع عن البخاري في التاريخ والحاكم في المستدرك وكل من البخارى والحاكم كان قبل فتحها بمئات ومعاذ الله أن ينقل تلك الاخبار في كتبهم أتباع رسول الله صلي الله تعالى عليه وسلم وأنصار شريعته وتكون غير ثابتة الرواية عندهم فلولا اعتمادهم روايتها عن النبي صلي الله تعالى عليه وسلم لما حرروها في كتبهم باقية على مدي الدهور وهم يعلمون وفور أعداء الدين المبين . ومن المعلوم ان سيدنا محمدا صلي الله تعالي عليه وسلم كان من العقل في أعلي الطبقات كما يشهد له بذلك أعداؤه وكيف يقدم عاقل ادعي منصب الرسالة من عند الله واتبعه عليه الألوف علي الاخبار بتلك الامور المهمة كفتح القدس والشام والقسطنطينية وأمثالها وهو يعتقد أن ذلك لايكون ويعرض نفسه للتكذيب والطعن في مستقبل الزمان معاذ الله أن يقدم عاقل علي ذلك فليتأمل المنصف ثم ليعلم بعد ذلك كله أن الاخبار بالغيب ليس في طوق البشر من رسل أو سواهم ومن إدعي علم الغيب من نفسه فقد قال العلماء إنه يكفر وانما الذي يحصل للبشر من ذلك انما هو باعلام الله تعالي لهم وهو سبحانه عليم بما كان وبما يكون فلا اشكال فى ذلك فنحن معشر المسلمين نؤمن بوقوع الاخبار المغيبات من الرسل باعلام الله تعالى

لهم عليهم الصلاة والسلام واذا أردنا أن نستوفي معجزات سيدنا محمد صلي الله تعالى عليه وسلم التى أيده الله تعالي بها احتجنا الى كتابة مجلدات ولكن قد ذكرنا منها مايكون فيه للعقول مقنع وفي الحقيقة ونفس الامر اذا نظر العاقل اللبيب في نفس شريعته عليه السلام وما اشتملت عليه من الحكم والاسرار والمنافع الدنيوية والاخروية ونظر في ذاته الشريفة وماخصه الله تعالى به من الشمائل والاخلاق المنيفة مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم قد ربى يتيما ونشأ أميالا يقرأ ولا يكتب بين قوم أميين ماعندهم من المعارف والفنون عين ولا أثر الا مافطرهم الله تعالي عليه من الفصاحة والبلاغة ولم يجتمع مع أهل المعارف اجتماعا يؤهله لاكتساب شيء مما جاء به و بلغه للخلق وما جاء به بحر عجاج يستغرق الاحاطة بعشره العمر المديد جزم ذلك العاقل اللبيب ان حاله عليه السلام وحال شريعته هو أمر خارق للعادة يحكم العقل بأنه معجزة أكرمه الله تعالى بها مؤيدة لدعواه ولكن هذه المعجزة لايدركها ولا يفهم كنهها الا أهل الدقة في النظر وأذكياء الخلق من البشر لأن من سواهم لايفهم الا المعجزات المحسوسة بحاسة السمع والبصر مثل كلام الحجر والشجر وانشقاق القمر والله تعالي قد أيد نبيه عليه السلام بكلا النوعين من المعجزات كما يظهر مما قدمناه في بيان معجزة القرآن الشريف وسواها من المعجزات المنقولة في الحديث المنيف . ولنذكر الآن طرفا من بيان حال شريعته عليه الصلاة والسلام وحالته الشريفة العظيمة الشأن عسى أن ينتفع بذلك بعض أهل هذا الزمان فنقول اذا نظر العاقل المنصف في شريعة حضرة سيدنا محمد صلي الله تعالى عليه وسلم نظر من يريد الاطلاع على الحقائق وأحاط بأسرارها علي قدر الطاقة سالكا أوضح الطرائق ظهر له ظهور الشمس في رابعة النهار أن الشريعة المحمدية تأمر بكل خير وتنهى عن كل شر وضير هي أنفع مايكون

للأنام على مدي الليالى والايام فيراها تأمر الخلق بالاعتقاد بالعقائد الصحيحة في حق الله تعالي بوصفه سبحانه بكل كمال يليق بشأن الالوهية وتنزيهه عن كل نقص تتعالي عنه صفة الربوبية وكذلك في حق الرسل الكرام الذين جعلهم الله تعالى هداة الانام من نحو اعتقاد عصمتهم من المعاصي وتنزيههم عن كل نقص يخل بمنصب الرسالة وتأمر بعبادات هي في الحقيقة عائدة بالنفع علي العباد فتأمر بالطهارة وهي مع ماشتملت عليه من منافع النظافة والنشاط للأبدان تذكار للانسان بالتوبة التى هى طهارة المرء من الذنوب والآثام وتأمر بعبادة الصلاة وهي من أعظم المهذبات للنفس بما اشتملت عليه من الخضوع والخشوع والركوع والسجود تعظيما لله تعالى وفيها التوسل اليه سبحانه والضراعة لديه وسؤاله الرحمة والمغفرة والاعانة والاستعاذة من العقاب فلذلك كانت وصلة بين العبد وربه وتذكارا له بمن هو الرقيب عليه فلو أن الانسان استغرق في الغفلة عن مولاه بانهماكه فى أشغال دنياه لطغت نفسه وأنساه الشيطان ذكر خالقه وهون عليه سلوك سبيل المعاصي والشهوات ولكنه بوقوفه فى اليوم والليلة خمس مرات بين يدي مولاه مستحضرا عظمته وجلاله يلتجئ الي التوبة عما جناه وتفتر همته عما من المعاصى نواه وفى ذلك يظهر مصداق قوله تعالى (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وفي اجتماعات الصلوات من صلاة الجماعة والجمعة والعيدين تسهيل سبيل التعارف والتآلف بين المسلمين والتعاضد علي نصرة الدين وألفة الاطاعة لامير المؤمنين وحكم كثيرة يقصر عنها قلم الكاتبين وتأمر بالصوم وفيه تهذيب النفس بمنعها عن شهواتها وتمرين الانسان على ردع نفسه عن المعاصي والشهوات المضرة وتذكار المرء بأحوال الفقراء والمساكين وما يجدونه من ألم الجوع ولولا الصيام لكان ربما يمر علي الغنى عمره ولا يعلم ماهو ألم الجوع فلا

يجد الشفقة علي الفقراء في قلبه أثرا وتأمر بالزكاة وفيها الاحسان للفقراء والضعفاء بسد حاجاتهم وتهذيب نفس الغنى وتطهيرها عن خلق البخل المذكور وتأمر بعبادة الحج وهو زيارة أمكنة مخصوصة وعد الله الأمة على لسان رسوله عليه السلام بغفران الذنوب وقبول التوبة عندها وفي ذلك اجتماع المسلمين ألوفا مؤلفة في تلك الاماكن وذلك يدعو الي التعارف والتآلف وفيه تذكار ماجري لرسل الله الكرام وعباده الصالحين فى تلك البقاع المشرفة كتذكار ماجرى لسيدنا آدم عليه السلام ولزوجته هناك من قبول الانابة للمولي وماجري لسيدنا ابراهيم الخليل ولولده اسماعيل عليهما السلام من الامتحان واطاعتهما للرحمن وبتذكار أعمال أولئك الاخيار وبمحاكاتها فى تلك الديار تنبعث الانفس لتذكار بقية أعمالهم وعباداتهم واطاعتهم لمولاهم وتشتاق للاقتداء بهم والتخلق باخلاقهم في كل مرضي لخلاقهم وفيه زيارة البيت المعظم الذي سماه الله تعالي بيته وهو سبحانه غني عن المكان وانما ذلك منه تعالي تنزل لافكار البشر الذين اعتادوا علي الالتجاء لبيوت ملوكهم عند ماتدهمهم المصائب فالحجاج يلتجئون الي ذلك البيت مستجيرين من مصائب الذنوب وغوائل المعاصي سالبين منه تعالي الاجارة من بلايا الآثام راجين منه الغفران كما وعدهم على لسان سيد الاكوان وبذلك تطمئن نفوسهم بنوال المغفرة عند امتثال ماأمروا به من الاعمال عند تلك الامكنة الطاهرة الى غير ذلك من الحكم والاسرار التي يضيق عنها هذا الكتاب المختصر فليرجع بذلك الي كتب الشريعة الغراء المتكفلة بمزيد البيان وتأمر تلك الشريعة بكل عمل حسن وتنهي عن كل فعل قبيح مضر بالجسد أو العقل أوالعرض أو المال وتأمر بالاخلاق المحمودة كالحلم والصبر والرضا والرحمة والشفقة وتنهي عن كل خلق ذميم كالكبر والحسد والبغضاء والحقد حتي أنها

ماتركت أمرا حسنا الا أمرت به وحضت عليه ولا أمرا قبيحا الا حذرت منه ونهت عنه وقد جعلت لبعض المنهيات الظاهرة الضرر عقوبات وحدودا لاجل الزجر عنها كمثل قتل النفس ظلما الذي قبحه لايحتاج الى بيان ومثل الزنا الذي يقتضي اختلاط الانساب وفقد التناصر وكشرب الخمر الذي يزيل العقل ويؤهل الانسان لارتكاب كل قبيح وكل ذلك ينطوي تحته حكم بديعة وأسرار رفيعة تعلم من الاطلاع علي كتب هذه الشريعة وكذلك لم تدع بابا من أبواب المعاملات والسياسات البشرية الا وضعت له قواعد وشرعت له أصولا ينتظم بها أمر المعاش بين البشر ويستوفي بها كل من القوي والضعيف حقه فبينت أصول البيوع والشركات والأنكحة والمواريث والمعاهدات وكيفية الاطاعة لولاة الامر وكل مايقوم به صلاح الامة من كلي وجزئي يعلم ذلك من الاطلاع علي كتب الفقه أصولا وفروعا فاتيان رسول الله صلى الله تعالي عليه وسلم بهذه الشريعة التي عجز عن الاتيان بها أكبر العلماء وأحذق الاذكياء وأكبر السياسيين الممارسين سياسة الأمم مع انه عليه الصلاة والسلام كان أمياً لايقرأ ولا يكتب ولم يتفق له تعلم من أحد البشر فى مدة حياته هو معجزة خارقة للعادة ودليل علي أن تلك الشريعة من عند الله تعالى أرسله بها سبحانه لارشاد الخلق الي الحق أما كونه عليه السلام أمياً لايقرأ ولا يكتب فهو أمر مشهور متواتر بالتواتر الصحيح الذي جاءت به المئات والالوف من العدول الثقاة وقد صرح به فى القرآن الشريف فى عدة آيات والقرآن يتلي علي رؤس الاشهاد من زمنه عليه السلام الى يومنا هذا ولم ينكر كونه أميا أحد من قومه ولا أحد وجد بعد زمانه قال الله تعالي في القرآن الكريم (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون)

وأما انه عليه السلام لم يتفق له التعلم من أحد من الناس فلأنه نشأ بين قومه في مكة مشهورا معروفا بينهم لانه من ذوي البيوت وأصحاب الحسب ومثله لا يجهل في بلدته وقومه أميون لم يوجد بينهم من يعرف القراءة والكتابة الا القليل وأما من يكون محيطا بعدة معارف ومطلعا علي سياسات البشر وقوانين الأمم بحيث يؤهله ذلك لترتيب مثل هذه الشريعة التى جاء بها الرسول عليه السلام فلم يكن موجودا بينهم لامنهم ولا من سواهم اذ مثل هذا لايخفي وجوده فى بلدة مثل مكة وكان يغد ومشهورا بين الخاص والعام ولو قصد أن يخفي نفسه لعسر عليه ذلك وأيضا أن تعلم الرسول عليه السلام تلك الشريعة من مثل هذا الانسان المفروض لا يكون فى مجلس أو مجلسين بل يحتاج الي أعوام وأن يتردد عليه في كثير من الليالي والايام فليس من الممكن عادة أن يخفي تعلمه منه علي جميع أهل بلده مهما تحري ذلك واجتهد فيه وقد كان بعض المشركين تمسكوا بمثل هذه الشبهة وصاروا يقولون إن محمدا يتعلم القرآن من فلان وذكروا رجلا أعجميا كان بينهم فافتضحوا بهذه الدعوي الواضحة البطلان حيث نسبوا تعلم القرآن الذى هو في أعلي طبقات الفصاحة والبلاغة العزيزتين الي رجل أعجمي ليس عنده أدني فصاحة ولا أقل بلاغة توجد في اللسان العربى وقد رد الله تعالي عليهم هذه الشبهة فى كتابه المجيد فقال سبحانه (لسان الذى يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) وان قيل ربما أن محمدا عليه السلام تعلم تلك الشريعة من أحد الناس خارج مكة في بعض البلاد الشامية التى روي انه سافر اليها قبل دعوي الرسالة مع جملة من التجار قلنا ان الذي ثبت نقله وصحت روايته أنه عليه السلام ماغاب عن مكة في البلاد الشامية الا عدة أيام تبلغ الشهرين أو الثلاثة هي مدة الذهاب والرجوع وقضاء مصالح التجار الذين سافر معهم وتلك المعارف التى

ظهرت في شريعته يحتاج تعلمها الي شهور وأعوام وليال كثيرة وأيام ولو كان المعلم من أبرع المعلمين والمتعلم من أزكي المتعلمين فأي عاقل يصدق أنه عليه السلام تعلم جميع تلك المعارف فى تلك الايام القلائل التى غاب فيها عن بلده مكة وهو رجل أمي لايقرأ ولا يكتب وتلك المدة لاتكفي لتعلم باب واحد من أبواب تلك الشريعة ولو كان المتعلم كاتبا قارئا علي أن الرسول عليه السلام ماجاء بتلك الشريعة وأظهرها للناس دفعة واحدة من أول دعواه الرسالة بل كان يأتي بذلك مفرقا موزعا علي الازمنة من أول دعواه الى أن تم دينه وانتشر بين الأمم الذين اتبعوه فى مدة اثنتين وعشرين سنة فكان يبلغ أحكام شريعته وجميع مشتملاتها للناس شيأ بعد شيء علي حسب المقتضيات والمصالح والحوادث والمشاكل والسؤالات والشبه الواردة من اختصاصه فيأتي في مقابلة كل شيء بما يطابقه وفق المرغوب وهذه الكيفية معلومة لنا بالضرورة بما نقل من سيرته وكيفية تمام أمره نقلا صحيحاً متواترا وحينئذ يقال ماالذي أعلم ذلك المعلم الذي يدعي الخصم أنه علم الرسول عليه السلام بجميع الحوادث المستقبلة التى سوف تقع وتتفق له بينه و بين أخصامه أو أتباعه سواء قيل إن ذلك المعلم من نفس مكة أو من خارجها فعلمه قبل دعواه الرسالة جميع مايناسب الحوادث التى سوف تحدث معه في مدة دعواه فعرف جواب كل سؤال سوف يرد عليه ودفع لكل شبهة وحكم كل حادثة وحل كل مشكلة وصار عليه السلام يورد لكل شيء ماينا سبه ويجيب له في وقته مسددا مقنعا للافكار وإنا نري من تلك الحوادث مالا يخطر في بال أحد أنه سوف يقع أو يتفق وقوعه الي آخر الزمان ومن يطلع على ماحدث من الحوادث فى مدة دعواه الرسالة يعلم أن احاطة أحد بجميع ماسوف يحدث فى تلك المدة واستحضار مايلزم له هو من المحال عادة ولا يقول به الاكابر وقد

كان عليه السلام في أكثر أحواله يردعليه السؤال أو الشبهة و يجيب عن ذلك في مجلسه فى الملأ العام بين جماهير أصحابه وأعدائه المشركين ولم يشاهد أحد حينئذ أنه يلتفت الي واحدمن الحاضرين ويسأله متعلما منه مايلزم له من الجواب أو يضطر اليه من الخطاب بل هو المجيب والمدافع والمفيد والمعلم وكل من لديه تلامذة متعلمون فأين هذا المعلم للرسول الذي يزعمه الخصم ماهذا الزعم الا افتراء بارد فقد ظهر الحق لذوي الانصاف وتبين ان اتيان سيدنا محمد الأمي بهذه الشريعة الغراء معجزة من معجزاته وأن دعوي تعلمه من أحد من البشر هي دعوي باطلة لايقول بها الا كل جاهل بأحوال سيرته وتاريخ حياته أو معاند مكابر للحق هدانا الله تعالي الي مافيه النجاة آمين

وأما حاله عليه الصلاة والسلام فى ذاته الشريفة وأخلاقه وشمائله المنيفة فقد نقل لنا العدول وصحح لنا الاخبار البالغة بكثرتها درجة التواتر أن سيدنا محمدا صلى الله تعالي عليه وسلم قد وهبه الله تعالي المحاسن خلقا وخلقا وجمع الله تعالى فيه الفضائل الدينية والدنيوية أما حسن صورته وخلقته فقد ثبت النقل الصحيح أنه عليه السلام كان أحسن الناس صورة وأجملهم خلقة فكان علي مايرام من المحاسن والجمال الباهر كما قال فيه بعض واصفيه

وأحسن منك لم ترقط عيني * وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب * كأنك قد خلقت كما تشاء

وقد أفردت محاسن ذاته الشريفة بالتأليف فليتشرف بالاطلاع عليها من أراد وأجمع ماوصفه به الواصفون قول بعض من شاهده عليه السلام هو أجمل الناس من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله وتخصيص

الله تعالى له بحسن الصورة هو من جملة الحكم الالهية فان الله تعالى بعثه داعيا للخلق وحسن الصورة مما تألفه الانفس وتلذ به الأعين فتقبل عليه كما أن قبح الصورة منفر مشرد . وأما وفور عقله عليه السلام وذكاء لبه فقد صحت الأخبار وتواردت النقول أنه كان عليه السلام أعقل الناس وأذكاهم ومن نظر الى تدبير أمور بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة الخاصة والعامة وتأليفه أجلاف البوادى وأخشان الجبال وتهذيبه لهم حتى أصبحوا من أكمل الناس أدبا ومعرفة وسيرة فضلا عما أفاضه من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سابق ولا ممارسة تقدمت لم يشك فى رجحان عقله وثقوب فهمه عليه السلام لاول بديهة وهذا لا يحتاج الى تقرير الدليل لتحققه بالمشاهدة في عصره وتواتره بعد ذلك بين طوائف العالم وقد أعطى عليه السلام جوامع الكلم وخصص ببدائع الحكم وأفرد الناس جوامع كلمه وبدائع حكمه بالتآليف فمن ذلك قوله عليه السلام (المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم) وقوله (لاخير فى صحبة من لا يرى لك ما ترى له) وقوله (ماهلك امرؤ عرف نفسه) وقوله (المستشار مؤتمن وهو بالخيار حتى يتكلم) وقوله (رحم الله عبدا قال خيراً فغنم أو سكت فسلم) وقوله (ان أحبكم الى وأقربكم منى مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطؤن أكنافا الذين يألفون ويؤلفون) وقوله (ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها) وقوله (اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن) وقوله (خير الامور أوساطها) وقوله (احبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما) وقوله (السعيد من وعظ بغيره) الى غير ذلك من جواهر الكلام وجوامعه وبديع الحكم التى يقصر عن استيفائها القلم . وأما حلمه عليه السلام وعفوه وصبره فقد كان فى الدرجة العليا من هذه الاخلاق فقد صح أنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما انتقم

لنفسه الا أن تنتهك حرمة الله تعالي فينتقم لله بها ولما آذاه المشركون أشد الاذي قيل له لو دعوت عليهم فقال إني لم أبعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فانهم لايعلمون نعم أخذ يدعو على القبائل التي غدرت بجملة من قراء الصحابة وقتلهم ظلما غيرة منه عليه السلام علي حرمة الله التي انتهكت في قتل أولئك المؤمنين المظلومين ولما أنزل الله تعالى عليه ليس لك من الامر شيء كف عن الدعاء عليهم وفوض الأمر اليه تعالي وكم همّ أناس بقتله غدرا وقبض عليهم فعفا عنهم وكم جافاه أجلاف العرب فلاطفهم فهو كما نقل وصفه في الكتب القديمة انه لاتزيده شدة الجهل عليه الا حلما وكم صبر علي مقاساة قريش وصابر الشدائد الصعبة معهم إلي أن أظفره الله تعالي عليهم وحكمه فيهم وهم لايشكون في إهلاكه لهم عن آخرهم فما زاد على أن عفا وصفح عنهم وقال أقول كما قال أخي يوسف (لاتثريب عليكم اليوم) إذهبوا فأنتم الطلقاء . والآثار في ذلك كثيرة وكلها تدل علي أنه عليه الصلاة والسلام كان أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضا وأما جوده وسخاؤه وسماحته عليه السلام فقد كان بحراً ذاخراً في هذه الاخلاق الكريمة . فمما روي أن رجلا سأله فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلي قومه وقال اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لايخشي فاقة وأعطي غير واحد مائة من الابل ورد علي هوازن سباياهم وكانوا ستة آلاف وقوّم ماوهبه لهوازن فكان خمسمائة ألف ألف والروايات في ذلك أكثر من أن تحصي ، وأما شجاعته ونجدته عليه الصلاة والسلام فقد كان منهما بالمكان الذي لايجهل قد حضر المواقف الصعبة وفر الكماة والابطال عنه غير مرة وهو ثابت لايبرح ومقبل لايدبر ولايتزحزح قال علي رضي الله تعالى عنه كنا اذا حمي البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله تعالي عليه وسلم فما يكون أحد أقرب إلي العدوّ منه . وأما حياؤه

واغضاؤه فقد كان عليه الصلاة والسلام أشد الناس حياء وأكثرهم عن العوارات إغضاء فكان لا يشافه أحدا بما يكره حياء وكرم نفس حتي كان اذا بلغه عن أحد مايكرهه لم يقل مابال فلان يقول كذا ولكن يقول مابال أقوام يصنعون أو يقولون كذا ينهي عنه ولا يسمي فاعله ولم يكن عليه الصلاة والسلام فاحشاً ولا متفحشا ولا صخابا فى الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة . وأما حسن عشرته وآدابه و بسط خلقه مع أصناف الخلق فهو أمر مشهور . فورد أنه كان أوسع الناس صدرا وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة وكان يؤلف المسلمين ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم يتفقد أصحابه ويعطي كل جليس نصيبه ولا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه من جالسه أو قاربه صبر على سؤاله وذكر حوائجه حتي يكون هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده الا بها أو بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده في الحق سواء كان دائم البشر سهل الخلق ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا عياب ولا فحاش ولا مداح وكان يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعا ويكافئ عليها قال أنس رضي الله تعالي عنه خدمت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عشر سنين فما قال أف قط وما قال لشئ صنعته لم صنعته ولا لشئ تركته لم تركته ولا دعاه أحد من أصحابه أو من أهل بيته إلا قال لبيك وكان يمازح أصحابه ولا يقول في مزاحه إلا حقا ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم فى حجره ويجيب دعوة العبد والحر والامة والمسكين فى أقصي المدينة ويقبل عذر المعتذر وما أخذ احد بيده فيرسله بيده حتى يرسلها الآخذ ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له ويبتدئ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة ويكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة ويعزم عليه بالجلوس عليها ان أبى ويدعو اصحابه

بأحب اسمائهم اليهم وكان لايجلس اليه احد وهو يصلي الا خفف صلاته وسأله عن حاجته واذا فرغ عاد الي صلاته وروي عن انس رضي الله تعالي عنه أنه قال كان خدمة المدينة يأتون رسول الله صلي الله تعالي عليه وسلم إذا صلي الغداة اي الصبح فما يؤتي بآنية إلا غمس يده فيها وربما كان ذلك في الغداة الباردة يريدون التبرك به ، وأما شفقته ورحمته علي أمته فذلك أمر مشهور وشواهده لاتحصي وقد كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز فى صلاته رحمة بأمه ويكفي بالدلالة على ذلك انه ماخير بين أمرين الا اختار أيسرها فجزاه الله تعالى عنا كل خير وأما خلقه بالوفاء وحسن العهد وصلة الرحم فهو شهير موفور وقد روي انه وفد عليه وفد النجاشى ملك الحبشة الذي كان قد هاجر الي بلاده جملة من الصحابة فأكرم مثواهم فقام صلي الله تعالي عليه وسلم يخدم أولئك الوفد بنفسه فقال أصحابه نكفيك فقال إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين واني أحب ان أكافئهم وأقبل أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانبه فجلست عليه ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام فأجلسه بين يديه . وقد ورد فى صفته صلي الله تعالي عليه وسلم أنه يصل الرحم ويحمل الكل ويقرئ الضيف ويكسب المعدوم ويعين علي نوائب الحق ، وأما تواضعه عليه الصلاة والسلام مع علو منصبه ورفعة رتبته فكان أعظم الناس تواضعا وأعدمهم كبرا كان يقول انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وكان يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس مع أصحابه مختلطا بهم حيثما انتهي به المجلس جلس وكان يدعي الى خبز الشعير فيجيب ويأكل مع الخادم وحج على رحل رث وعليه كساء من صوف لا يساوي أربعة دراهم وقد أهدي في ذلك الحج مائة بدنة وكان فى

بيته فى مهنة أهله يحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويكنس البيت ويعلف البعير ويخدم نفسه ويحمل مايشتري من السوق مع كثرة عبيده وخدمه وتشوق الناس لخدمته لـكنه يحب فعل ذلك تواضعا وتشريعا وأما عدله وعفته وصدق لهجته صلى الله تعالى عليه وسلم فقد كان أعدل الناس وأعفهم وأصدقهم لهجة منذ كان اعترف له بذلك أعداوءه وكان يتحاكم اليـه في الجاهلية قبـل الاسـلام وورد أنه مالمست يده يد امرأة قط لايملك رقها وما خير في أمرين الا اختار أيسرهما مالم يكن اثما فان كان اثما كان أبعـد الناس منه وقـد جزء نهاره ثلاثة أجزاء جزأ لعبادة ربه وجزأ لمصالح أهـله وجزأ لنفسـه ثم جزء جزءه بينه وبين الناس وكان يقول أبلغوا حاجـة من لايستطيع إبلاغي فان من أبلغ حاجة من لايستطيع أمنه الله يوم الفزع الاكبر وقد كان معروفا بالصـدق بين قومه من أول نشأته حتى دعوه بمحمد الامين وقال بعض المشركين بعد بعثته إنا لانكذبك ولـكن نكذب ماجئت به فأنزل الله تعالى في القرآن المجيد قوله تعالى (فانهم لا يكذبونك ولـكنّ الظالمين بآيات الله يجحدون) . وأما وقاره وصمته وحسن هديه صلي الله تعالي عليه وسلم فقد كان أوقر الناس في مجلسه لايكاد يخرج شيءٌ من أطرافه وكان كثير السكوت لايتكلم من غير حاجة وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لافضول فيه وكان ضحك أصحابه عنده التبسم توقيرا له واقتداء به مجلسه حلم وحياء وخير وأمانة اذا تكلم أطرق جلساؤه كأنّ على روءسهم الطير وكان أحسن الهدي هديه وكان سكوته علي أربع علي الحلم والحـذر والتقدير والتفكر وأما زهده فى الدنيا فحسبنا منه تقلله منها واعراضه عن زهرتها وقد سيقت اليه بجملتها وترادفت عليه فتوحاتها بمـا يسر الله له من الغنائم والاموال والأرزاق الواسعة الطيبة بحيث لو أراد لتوسع فيها واقتطف زهرتها فـلم يرضها واكتفي بأقل

قليل منها وحسبنا ماورد أنه ماشبع من خبز شعير يومين متواليين وماترك دينارا
ولا شاة ولا بعـيرا ولم يترك الاسلاحه و بغلته وأرضا جعلها صـدقة وقـد كان
فراشه جلدا مدبوغا وحشوه ليف وكان ينام أحيانا علي سرير من خوص النخل
حتى يوءثر بجنبه الشريف عليه الصلاة والسـلام وكان يبات جائعا يلتوي طول
ليلته من الجوع فلا يمنعه ذلك عن صيام يومه ولوشاء لجمع كنوز الارض وثمارها
و رغد عيشها قالت احدي نسائه كنت ابكي رحمة له مما اراه وامسح بيدي على
بطنه مما به من الجوع واقول نفسي لك الفداء لو تبلغ من الدنيا بما يقوتك فيقول
مالى وللدنيا إخوانى من اولي العزم من الرسل صبروا علي ماهو اشد من هـذا
مضوا على حالهم فقدموا علي ربهم فأكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاستحي من الله
ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي غدا دونهـم وما من شيء هو احب الي من
اللحوق باخوانى واخلائي واذا اردنا استيفاء جميع اخـلاقة الحميدة وعموم صفاته
المجيدة احتجنا الي تطويل لايحتمله هذا الـكتاب المراعي فيه الاختصار وبما
ذكرناه يظهر للعاقل المنصف المتدبر ان احتصاصه عليـه السـلام بتلك المحاسن
وتحليته بهذه المكارم مع انه تربى يتيما بين أمة جاهلية تغلب عليهم القسوة والجور
وخشونة الطباع وعدم التهذيب ما كان ذلك الا بمحض عناية من الله تعالي به
و إقامتـه بمنصب رفيع ومقام جليل ومن تـكون فيه تلك الصـفات الـكاملة
والاخلاق الفاضلة والعقل الثاقب والرأي الصائب ماكان ليتلبس بصفة الكذب
والاختيال ويخدع الناس بزخارف المحال ويدعي افتراء على الله تعالي انه رسوله
قد اختاره واصطفاه علي من سواه إنا نرى العاقل منا يمنعه عقله ويأبي عليه ضميره
ان يكذب كذبة واحدة علي رجل مثله او دونه وتأنف نفسه الشريفة ان يقدم
علي ذلك ولو اضطره الحال فـكيف ان من كان عقـله في أعلى درجات الـكمال

وهو متصف بأشرف الخصال يقدم بالكذب علي الاله الكبير المتعال ويمارس ذلك علي مر الايام والليالي معاذ الله أن يقدم علي ذلك من له ادنى عقل وأقل كمال ثم الغريب من احوال رسول الله صلي الله تعالى عليه وسلم وكل احواله غريبة وهو دليل علي صدقه واعانة الله تعالي له انه قلب حال الامة التى قام بينها وهي أمة جاهلية مغموسة فى بحار الجهالات والضلالات فى العبادات والعادات فرفعها من حضيض الرذائل الي أوج الفضائل فبدل جورها بالانصاف وخشونتها باللين وجهلها بالعلم والمعرفة وعداوتها بالمحبة والألفة ومحاربتها الجورية بالسلام والأمان وشقاءها بالنعيم وضلالها بالهدي الى الصراط المستقيم وعصيانها بالطاعة وفرقتها بالجماعة وضعفها بالقوة وخيانتها بالأمانة وفحشها بالعفة والصيانة وقد كان عندها من حميد الشمائل الكرم ولكنه مشوب بالتبذير والاسراف والشجاعة ولكنها معاومة بالجور والاعتساف فعدل عليه الصلاة والسلام خصالها وهذب اخلاقها حتى اصبحت خير الأمم وأكرم العالم وسري ذلك الي الأمم الأخرى التى اعتنقت دينه المبين فأصبحوا من خيار الصالحين وكل ذلك جري علي يديه عليه الصلاة والسلام بواسطة شريعته التى هي منهج السعادة وبحسن سيرته وصفاء أخلاقه وكمال سياسته ولاشك أن ذلك منه كان أمرا خارقا للعادة يعد من أعظم المعجزات عند ذوي الانصاف وقد اشتبه علي بعض الاجانب عن الدين المحمدى لما رأوا ان الجهاد مشروع فيه فظنوا أن هذا الدين ماتم أمره الا بالسيف والارهاب وهي شبهة باطلة علقت فى فكر من لم يطلع على سيرة رسول الله صلي الله تعالي عليه وسلم واول نشأته وقيام دينه المبين وأما من عرف ذلك فلا يجد لهذه الشبهة عينا ولا أثرا وبيان ذلك ان الذى ثبت نقله نقلا صحيحاً فى سيرته عليه السلام وبدء امره انه لما قام في دعوي الرسالة في مكة المكرمة

كان وحيدا فريدا ليس صاحب سلطان ولا معتمدا على عصبة عشيرة بل إنه عند قيامه بتلك الدعوي بين جماهير الامم كان أول مكذب له عشيرته وعادوه أشد المعاداة وسلطوا عليه أشرارهم بالاذي والاضرار وهو التزم طريق الهداية والارشاد فصار يقيم البراهين على صدق دعواه ويورد المواعظ ويؤلف القلوب بكل ممكن ويأمر بأوامر شريعته المورثة الخير وينهي بنواهيها عن كل مايورث الضير ومضي له علي ذلك مدة تبلغ عشر سنوات وهو مقيم فى مكة ولم يأمر باراقة قطرة دم لاعدائه بل يتلو قرآنه المشتمل على قوله تعالى (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد في الغي) وقوله فى خطاب من اتبعه (ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) وقوله (من كفر فعليه كفره) الى غير ذلك من الآيات وهاجر من مكة الي المدينة وهو ملتزم لهذه الطريقة مدة من اقامته في المدينة وقد اتبعه مع تلك الحال والطريقة الجم الغفير من أهل مكة وأهل المدينة وطوائف العرب كما يعلم من مراجعة سيرته وقبلت شرعه العقول السليمة واستحسنته الطباع الصحيحة ولا خوف هناك ولا ترهيب لكن لما ظهر للعقول السليمة والانظار القويمة أن المخالفين الذين لم يتبعوه عليه السلام لا يعمل معهم البرهان ولا تنفع فيهم الموعظة ولا يثمر لديهم الارشاد بل هم فضلا عن ضلالهم وغشهم لأنفسهم بعدم قبول الدين الحق وسلوك سبيل الاستقامة لا يفترون عن أذاه عليه السلام وأذي اتباعه كلما سنحت لهم الفرصة ينصبون لهم المكائد ويقيمون في سبيل دينهم المعاثر ويخترعون لهم بدائع الاضرار ويعاملونهم معاملة الاشرار ووجد أن دوام المعاملة بالرفق لاولئك المخالفين يزيد طغيانهم ويشوش أمر الدين على اتباعه أذن الله تعالى له عند ذلك بجهاد الاعداء والاخصام الالداء والاغرار البلداء استبدالا للترغيب مع هؤلاء الاشرار بالترهيب ودفعا

للاذى والفساد وقطع جرثومة العناد اذ قد يسمح بالاشرار لسلامة الاخيار ويقطع العضو المريض لوقاية صاحبه من البوار ولكن شرع الله ذلك الجهاد فى شريعة سيدنا ﴿ محمد ﴾ عليه السلام علي حدود تبقى للرفق مجالا وللشفقة والعدل منالا حتى لوقبل جهاده مع الجهاد المشروع في الشرائع المتقدمة كشريعة سيدنا موسي عليه السلام لوجد أن في جهاد شريعة سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم تخفيفات لم توجد في سواه يعلم ذلك من الاطلاع علي شؤون الشريعتين وفيما قررناه ظهر أن تلك الشبهة التى يزعم صاحبها أن الدين المحمدي قام بالسيف هي شبهة ظاهرة البطلان مهدومة الار كان والحق الحقيقي بالقبول أنه ما كان أساس الهدى والسعادة لنا ولاسلافنا الا بنور شريعة سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وبهديه وارشاده فجزاه الله تعالى عنا خير الجزاء ورفع درجته فى أعلي عليين فعلينا معشر المسلمين مداومة محبته وتعظيم جنابه الشريف وفداءه بالارواح ومن محبته عليه السلام تعظيم شرعه واطاعة أوامره واجتناب نواهيه كما قيل * ان المحب لمن يحب مطيع * وأما الشخص الذى يدعي محبته وهو مخالف لشرعه فحاله يكون مكذبا لدعواه وشاهدا عليه بخبث الطوية. ومن محبته عليه الصلاة والسلام محبة أهل بيته وعترته وتعظيم حملة شريعته واكرامهم والاحسان اليهم ومن كمال محبته عليه الصلاة والسلام معرفة نسبه الشريف من جهة أبيه ومن جهة أمه حتى قال بعض العلماء بوجوب ذلك فأما نسبه من جهة أبيه فهو سيدنا محمد بن عبد الله * بن عبد المطلب * بن هاشم * بن عبد مناف * ابن قصي * بن حكيم * بن مرة * بن كعب * بن لؤي * بن غالب * بن فهر * ابن مالك * بن النضر * بن كنانة * بن خزيمة * بن مدركة * بن الياس * ابن مضر * بن نزار * بن معد * بن عدنان * وليس فيما بعده الى آدم عليه

الصلاة والسلام نقل صحيح * وأما نسبه صلى الله عليه تعالي وسلم من جهة أمه فهو سيدنا محمـد بن آمنـة بنت وهب * بن عبد مناف * بن زهرة * بن حكيم فتجمع معه عليه السلام في جده حكيم ومن كال محبته عليه السـلام معرفة أسماء أولاده رضي الله تعالى عنهم وهم سبعة علي الصحيح سيـدنا القاسم * وسيدتنا زينب * وسيدتنا رقية * وسيدتنا فاطمة * وسيدتنا أم كلثوم * وسيدنا عبدالله وهو الملقب بالطيب والطاهر وسيدنا ابراهـيم * وكلهم من سـيدتنا خديجـة الـكبرى رضي الله تعالى عنها الا سيدنا ابراهيم فمن مارية القبطية

ومن حسن الادب مع حضرته عليه الصـلاة والسلام اعتقاد نجاة أبويه إما بالاعتماد علي قول من يقول بنجاة أهل الفترة الذين كانوا قبل بعثة الرسول عليه السـلام وهما من جملتهم واما بالاعتماد علي ماورد فى بعض الآثار ان الله تعالي أحياهما له حتى آمنا به وذلك جائز داخـل تحت تصرف قدرة الله تعالي واعلم أنه قـد دلت النصوص الشرعية وانعـقد اجماع الامـة المحمدية علي أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم مبعوث من الله تعالي الي الناس كافة بـل الي الثقلين الانس والجن لا الى العرب خاصة كما زعمه بعض الكفار وانعقد اجماع الامة أيضا علي أنه خاتم الأنبياء والمرسلين لانبي بعده فشرعه عليه السلام لاينسخ الي آخر الزمان أى لايرفع بشرع سواه وسيدنا عيسى عليه السلام عند نزوله الى الارض فى آخر الزمان انما يحكم بشرع نبينا عليه السلام لا بشرع جديد وعدم قبول سيدنا عيسي للجزية هو من جملة شرع نبينا لأن قبول الجزية فى الشرع المحمدي غايته الى نزول عيسي عليه السـلام وقد انعقد الاجماع أيضا علي أن شرع نبينا ناسخ لسائر الشرائع المتقدمة أي ناسخ أكثر أحكامها غير العقائد منها وأما العقائد كالايمان بالله تعالى و ملائكته وكتبه و رسله واليوم الآخر فهي ثابتة

في سائر الشرائع وحكمة نسخ شريعة بأخري هي اختلاف المصالح بحسب الازمنة مثلا المصلحة فى زمن الامم السابقة اقتضت تكليفهم بشرائعهم والمصلحة فى زماننا الى آخر الدهر اقتضت تكليفنا بشريعة نبينا وبهذا ظهر سقوط شبهة من يقول من الكفار إنه يلزم علي القول بالنسخ ظهور مصلحة كانت خفية على الله تعالي اذ يقال له إن الله تعالى من الازل عالم بمصلحة كل أمة وزمنها فرتب قديما لكل أمة شريعة وأرسل رسولا بكل منها وجعل المتأخرة ناسخه للمتقدمة فأين الخفاء علي الله تعالى. وانعقد الاجماع أيضا علي أن نبينا عليه الصلاة والسلام أفضل الخلق أجمعين لا يفضله أحد من مخلوقات الله تعالى ثم الراجح عند العلماء أن الأفضل بعد نبينا سيدنا ابراهيم ثم سيدنا موسي ثم سيدنا عيسي ثم سيدنا نوح وهؤلاء الاربعة مع نبينا هم أولو العزم من الرسل ثم بقية الرسل ثم الانبياء غير الرسل وهم متفاضلون فيما بينهم عند الله تعالي ثم سيدنا جبريل ثم سيدنا ميكائيل من الملائكة ثم بقية رؤساء الملائكة ثم عوام البشر والمقصود منهم أولياؤهم غير الانبياء كأبى بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ثم عوام الملائكة وقد ثبت في الاحاديث النبوية أن قرنه عليه الصلاة والسلام أي أصحابه هم خير القرون المتقدمة والمتأخرة ماعدا الانبياء والرسل. والصحابي هو من اجتمع بالرسول عليه الصلاة والسلام مؤمنا به ومات علي ذلك وأفضل أصحابه عليه الصلاة والسلام خلفاؤه الاربعة علي ترتيب خلافتهم فأولهم فى الفضل أبو بكر الصديق ثم سيدنا عمر ابن الخطاب ثم سيدنا عثمان بن عفان ثم سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله تعالي عنهم وأفضل القرون بعد قرنه عليه الصلاة والسلام قرن التابعين وهم الذين اجتمعوا بالصحابة اجتماعا متعارفا ثم قرن أتباع التابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. ومما انعقد عليه اجماع الامة أن النبوة خصيصة من الله تعالى لا تكون

مكتسبة للعبد ويفسرونها باختصاص العبد بسماع وحى من الله تعالى بحكم شرعى تكليفى سواء أمر بتبليغه أم لا وكذلك الرسالة لكن بشرط أن يؤمر بالتبليغ وأما الولاية فالاظهر عند العلماء فيها التفصيل فنها ماهو مكتسب وهو امتثال المأمورات واجتناب المنهيات وتسمى الولاية العامة ومنها ماهو غير مكتسب وهو العطايا الربانية كالعلم اللدنى ورؤية اللوح المحفوظ وغير ذلك

ولنختم مبحث المعجزات ببيان بقية خوارق العادات فنقول قدعلمت أن الامر الخارق للعادة اذا ظهر علي يد مدعي الرسالة من عند الله تعالي أو النبوّة يسمي معجزة فاما اذا ظهر للرسول قبل دعواه النبوّة أو الرسالة كما ورد أن سيدنا محمدا صلي الله تعالى عليه وسلم كانت تظلله الغمامة قبل ارسال الله تعالى له وادعائه الرسالة فيسمي هذا ارهاصا أى تأسيسا للرسالة وأما اذا ظهر الأمر الخارق للعادة علي يد ظاهر الصلاح والعدالة وليس عنده دعوي النبوّة والرسالة فيسمي كرامة ونحن معشر المسلمين من أهل السنة والجماعة نؤمن بكرامات الأولياء لورود النصوص الشرعية بذلك ونقل الاخبار الكثيرة بوقوع خوارق العادات للكثير من الصالحين أكرمهم الله تعالي بها لأجل أن يحترموا بين الناس أو ليقبل ارشادهم وموعظتهم اذا أقامهم الله تعالى في مقام الارشاد أولتفريج كروبهم وقضاء مصالحهم اذا احتاجوا الي ذلك وكل ذلك فضل من الله سبحانه وتعالي عليهم ولا يجب عليه تعالي شئ من ذلك والاولياء جمع ولي وهو العارف بالله تعالي وبصفاته حسب الأمكان المواظب علي الطاعة المجتنب للمعاصي بمعنى أنه اذا ارتكب معصية بادر الي التوبة وليس المراد انه لاتقع منه معصية إذ ليس هو معصوما المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات المباحة وأما أصل التناول للذات المباحة فلا مانع منه لاسيما اذا كان بقصد التقوي علي طاعة الله تعالى وأما

إذا ظهر الامر الخارق للعادة علي يد مستور الحال لا ظاهر الصلاح ولا ظاهر الفسق فيسمي معونة أي اعانة من جانب الله تعالي وأما اذا ظهر على يد ظاهر الفسق فيسمي استدراجا بمعني أن الله استدرجه باظهار ذلك علي يده فيتمادي بفسقه ثم اذا أخذه الله تعالي لم يفلته والعياذ بالله تعالي وهذه الاقسام الخمسة من خوارق العادة تكون علي وفق مقصد من تظهر علي يديه وبقي قسم آخر وهو أن يقع الامر الخارق للعادة للمرء علي خلاف مايطلبه كما روي أن مسيلمة الكذاب الذي ادعي الرسالة في زمن نبينا عليه الصلاة والسلام قد بصق في عين رجل لتشفي فعميت الأخري ويسمي هذا القسم من خوارق العادة خذلانا أي تكذيبا وخزيا من الله تعالي لذلك الكاذب ولا اشتباه بين هذه الاقسام و بين المعجزة لان المعجزة مقرونة بدعوي الرسالة أو النبوة كما تقدم موافقة لمقصد من تظهر علي يديه وغيرها ليس كذلك كما أنه لا اشتباه بين الكرامة التي تظهر على يد ظاهر الصلاح غير مدعى الرسالة أو النبوة موافقة لمطلبه وبين بقية الاقسام والله تعالي أعلم

﴿ الفصل الرابع فى بيان الايمان بالملائكة عليهم الصلاة والسلام والايمان بالكتب المنزلة من عند الله تعالي علي رسله والقضاء والقدر ﴾

اعلم أنه يجب علي كل مكلف شرعا الايمان بالملائكة عليهم الصلاة والسلام وهو أن يعتقد اعتقادا جازما بوجودهم وأنهم عباد الله المؤمنون به المكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون مايؤمرون وقد وردت النصوص الشرعية بجميع ذلك وحقيقتهم عند أكثر المسلمين انهم أجسام لطيفة أعطاهم الله تعالي القدرة علي التشكل بأشكال مختلفة مسكنهم السموات وقد وردت النصوص الشرعية بما يفيد أنهم أقسام فمنهم حملة العرش ومنهم الحافون حول العرش ومنهم أكابر الملائكة كجبريل وميكائيل واسرافيل

ومنهم ملائكة الجنة ومنهم ملائكة النار ومنهم الموكلون بني آدم ومنهم كتبة الاعمال ومنهم الموكلون بأحوال هذا العالم بالتدبير ومنهم رسل الله الى أنبيائه بالوحي ودلت النصوص أيضا على أنهم قادرون على الاعمال الشاقة العظيمة التى يعجز عنها ألوف البشر بل جميع البشر الي غير ذلك مما ورد في حقهم فى القرآن والأحاديث وقد اتفق أئمة المسلمين كما يؤخذ من الشفاء الشريف على عصمة المرسلين منهم بالوحي الي أنبياء البشر كما عصم الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولكن اختلف العلماء فى عصمة غير المرسلين من الملائكة وقال الفخر الرازي والجمهور الاعظم من علماء الدين على عصمة الملائكة عن جميع الذنوب وقد تمسك المخالفون في عصمتهم بأمور. منها أن ابليس كان من الملائكة فعصي الله تعالى وكفر ونحن نقول إن ابليس كان من الجن ولم يكن من الملائكة كما حققه الامام الرازي وغيره من العلماء . ومنها قصة هاروت وماروت ونحن نقول أما الآية التى وردت فيهما وهي قوله تعالى (واتبعوا ماتتلوا الشياطين علي ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلاتكفر فيتعلمون منهما مايفرقون به بين المرء وزوجه) فالذي تلخص من كلام الامام الرازى في تفسيره أن السحرة كثرت فى ذلك الزمان واستنبطت أبوابا غريبة من السحر وكانوا يدعون النبوة ويجعلون تلك الاعمال السحرية معجزاتهم فبعث الله تعالي هذين الملكين لاجل أن يعلما الناس أبواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة أولئك السحرة الذين يدعون النبوة كذبا ولاشك أن هذا من أحسن المقاصد فهذان الملكان كانا لا يعلمان أحدا السحر حتى يبذلا النصيحة فيقولا له انما نحن فتنه أي محنة يتميز بها المطيع من العاصي فهذا الذي

نصفه لك من السحر وان كان القصد منه أن يظهر به الفرق بين السحر وبين المعجزة ولكنه يمكنك أن تتوصل به الي المفاسد والمعاصى فاياك بعد وقوفك عليه أن تستعمله فيما نهيت عنه أوتتوصل به الي شئ من الاغراض العاجلة ثم ان القوم تعلموا منهما السحر واستعملوه في الشر وايقاع الفرقة بين المرء وزوجه ثم قال الرازي واتفق المحققون علي أن العلم بالسحر غير قبيح ولامحظور يعني وانما المحظور العمل به وتقرير الآية بهذا الوجه لااشكال فيه ولايدل على معصية الملكين المذكورين كما هو ظاهر بل يكونان قدامتثلا أمر الله تعالي في التعليم كما لااشكال فى أنه كيف ينزل الله تعالي عليهما السحر المنهى عنه لان المحرم هو العمل به لاتعلمه لأجل مقصد حسن حكم وأما ماروي من أن هذين الملكين قد مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لأمرأة يقال لها الزهرة فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت الي السماء بما تعلمت منهما فنقول ان هذه القصة قد اختلف العلماء في صحة نقلها . فقال الامام فخر الدين الرازى في تفسيره ان هذه الرواية فاسدة مردودة غير مقبولة لأنه ليس في كتاب الله تعالى مايدل على ذلك بل فيها مايبطلها من وجوه ثم بين تلك الوجوه . وقال الامام البيضاوي عن هذه الرواية انها محكية عن اليهود . وقال أبو السعود فى تفسيره إنها مما لايعول عليه لان مداره رواية اليهود مع مافيه من المخالفة لأدلة العقل والنقل . وقال القاضي عياض في الشفاء الشريف ان هذه الاخبار يعني المذكورة فى قصة هاروت وماروت لم يرو منها شئ لاسقيم ولاصحيح عن رسول الله صلى الله تعالي عليه وسلم وليس هو شئ يؤخذ بقياس واذا علمت ذلك فنحن يسوغ لنا الاخذ بقول هؤلاء الأئمة الاعلام والاعتماد على مارجحوه فى عدم صحة هذه الرواية ولايجب علينا إعتقاد هذه القصة فى هذين الملكين وعلى فرض صحة روايتها كما قال به بعضهم

فنقول لعلها من باب ضرب الامثال والرموز كما ذكر احتمال ذلك البيضاوي وأبو السعود وبين شيخي زاده والسيلكوتي في حاشيتيهما علي البيضاوي كيفية ذلك التمثيل أولعل الرواية في هذه القصة هي حكاية لما قاله اليهود وزعموه من جملة أقاصيصهم فبطلانه في نفسه لا ينافي صحة الرواية التي حكته لنا عنهم وعلي هذا حمل السيلكوتي قول البيضاوي محكية عن اليهود وعلي كل فلا تعارض هذه القصة عصمة جميع الملائكة والله تعالي أعلم

وبما وردت به النصوص الشرعية ويجب الايمان به أن علي كل عبد حفظة من الملائكة وكاتبين يكتبون أعمال العبد من حسنات وسيئات وهذه الكتابة يكفر منكرها لتكذيبه القرآن قال تعالي (كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون) لكنها ليست لحاجة دعت اليها لاحاطة علم الله تعالي بكل شيء وانما فائدتها أن العبد اذا علم بها استحي وترك المعاصي والكتب حقيقي بآلة وقرطاس ومداد يعلمها الله تعالي حملا للنصوص علي ظواهرها مع عدم الاستحالة في ذلك والله أعلم

ومما وردت به النصوص الشرعية أيضا وجود ملك يقبض الارواح أي يخرجها من مقرها فيجب الايمان بذلك وورد أن اسمه عزرائيل وأن له أعوانا بعدد من يموت يترفق بالمؤمن و يأتيه بصورة حسنة بخلاف غيره وسنذكر في الباب الثالث ان شاء الله تعالى الشبه الواردة في شأن الملائكة فانظرها هناك * ويجب على كل مكلف شرعا الايمان بالكتب المنزلة من الله تعالى علي الرسل عليهم الصلاة والسلام فنؤمن بأن لله تعالى كتبا أنزلها علي رسله و بين فيها أمره ونهيه ووعده ووعيده وأفضل الكتب المنزلة القرآن ثم التوراة ثم الانجيل ثم الزبور وكلها كلام الله تعالي واعلم أن كلام الله يطلق علي معنيين المعني الاول هو الصفة القديمة القائمة بذاته تعالي التي ليست بحرف ولا صوت كما قدمناه في بحث صفاته تعالي والمعنى

الثاني هو الكلام اللفظى المنزل علي الرسل ومعنى أنه كلام الله تعالي أنه بمجرد الوحى وليس لاحد فى أصل تركيبه كسب وهو يدل على بعض ماتدل عليه صفة الكلام القديمة لانها تدل علي جميع الواجبات والجائزات والمستحيلات كمامر في بحث الصفات وهذه الالفاظ المنزلة على الرسل تدل علي بعض ماتدل عليه تلك الصفة القديمة فلو كشف عنا الحجاب وفهمنا من الصفة القديمة طلب اقامة الصلاة مثلا لفهم ذلك من قوله تعالي في القرآن أقيموا الصلاة وعلي المعنى الثاني يحمل قول السيدة عائشة رضي الله تعالي عنها مابين دفتى المصحف كلام الله ومن أنكر أن مابين دفتى المصحف كلام الله فقد كفر الا أن يريد أنه ليس الصفة القديمة القائمة بذاته تعالى ومع كون اللفظ الذى نقرأه حادثا ومخلوقا لايجوز أن يقال كلام الله أوالقرآن حادث أومخلوق الا فى مقام التعليم لانه لاطلاقه بالمعني الاول على الصفة القديمة ربما يتوهم أن هذه الصفة حادثة أومخلوقة ولذلك ضرب الامام أحمد بن حنبل رضي الله تعالي عنه وحبس علي أن يقول بخلق القرآن فلم يقل ثم اعلم أن جميع الكتب المنزلة قد نسخت بالقرآن تلاوتها و بعض أحكامها والله تعالي أعلم

ومما يجب شرعا علي كل مكلف الايمان بالقضاء والقدر كما وردت النصوص الشرعية وكماأمرنا بالايمان بهما فقد نهينا عن الخوض في مباحثهما ولكن لما كان الايمان بهما لابد فيه من تفسير معناهما نقول إن المنقول عن المأثر يدية فى تفسيرهما أن القدر هو تحديد الله تعالي أزلا كل مخلوق بحده الذى يوجد عليه من حسن وقبح ونفع وضر الى غير ذلك أى علمه تعالى أزلا صفات المخلوقات فيرجع الى صفة العلم وان القضاء ايجاد الله تعالي الاشياء علي وفق علمه تعالى وتقديره لها فى الازل فقد تبين أن القدر والقضاء راجعان الى تعلق العلم الالهي

الأزلي بالاشياء وتعلق القدرة الالهية بها وهذا قد مر بيانه عند بيان مايتعلق من صفات الله تعالى بالاشياء ومالايتعلق ولكن لما كان خطر الجهل فى فن التوحيد عظيما صرح العلماء بوجوب الايمان بالقضاء والقدر ولاسيما أنه قدصرح بالايمان بهما في صحيح الاحاديث ثم اعلم أنه وان وجب الايمان بالقدر لكن لايجوز الاحتجاج به لاقبل الوقوع توصلا الي الوقوع بأن يقول الشخص قدرالله تعالي علي الزنا مثلا وغرضه بذلك التوصل الي الوقوع فى الزنا وللشرع الحجة عليه في ذلك اذ يقال له من جانب الشرع وماأدراك أنه قدر عليك من الازل ذلك حتي تقدم عليه فاقدامك علي الذنب ليس الا لهوي نفسك و باختيارك وبذلك تؤاخذ عليه ولا بعد الوقوع تخلصا من الحد الشرعي ونحوه بأن وقع شخص في الزنا مثلا وقال قدر الله تعالي علي ذلك وغرضه التخلص من الحد وللشرع الحجة عليه أيضا اذ يقال له إنك أقدمت علي الذنب ولاعلم لك بتقديره عليك أزلا فاقدامك عليه ماكان الا لهوي نفسك وجراءتك علي الله تعالي وبذلك تؤاخذ ويجب عليك الحد والله تعالى أعلم

﴿الفصل الخامس فى الايمان باليوم الآخر ومايشتمل عليه وبالبعث ومايتقدم ذلك من أحوال الموت والقبر ومايتبع ذلك ورد الشبه التى ترد في هذا المقام﴾

اعلم أنه مما يجب على كل مكلف شرعا الايمان باليوم الآخر وهو يوم القيامة وأوله من وقت الحشر وينتهي بدخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار والواجب الايمان به و بما يشتمل عليه كما يجب الايمان بما يتقدمه من العلامات التى ثبتت بالنصوص الشرعية و بما يتقدمه أيضا من قبض الروح وأحوال القبر وأمثال ذلك مما ثبت في النصوص الشرعية الصحيحة وتفصيل جميع ذلك فيما سيتلي عليك

فنقول قد وردت الآيات والأحاديث الصحيحة واتفق أهل السنة والجماعة أن لكل انسان روحا جرت عادة الله تعالى انها اذا كانت فى جسده كان حيا واذا فارقته حله الموت وان عمر كل انسان مقدر بتخصيص الله تعالي لايزيد ولاينقص حتى المقتول فانه ميت باجله فاذا انقضى أجل الانسان قبض روحه الملك الموكل بقبض الارواح وهو ملك من أكابر الملائكة يسمى بعزرائيل فهو يقبض الروح أي يخرجها من مقرها ثم بعد وضع الانسان فى قبره يعيد الله تعالي اليه الروح ويرد اليه من الحواس والعقل مايتوقف عليه فهم الخطاب ويتأتى معه رد الجواب ثم يأتيه في تلك الحالة ملكان ويسألانه عن معتقده والحكمة فى هذا السؤال أن يظهر لدي الملائكة المؤمن والمطيع وغيرهما ويترتب علي ذلك اماتنعم الميت فى قبره واماعذابه ويستثنى من هذاالسؤال من وردت الأحاديث باستثنائه كالانبياء وغيرهم كما هو مبسوط فى كتب الأحاديث ثم ان الميت اماأن يتنعم فى قبره ان كان مؤمنا مطيعا واما أن يعذب والمعذب إماأن يدوم عذابه الى يوم القيامة وإما أن ينقطع كما فى بعض عصاة المؤمنين ومن أحوال القبر ضغطته وهي التقاء حافتيه على الميت ولاينجو منها أحد الا من استثنى فى الاحاديث كالانبياء ثم اذا تصرم الزمان وقرب يوم القيامة ظهرت له علامات. منها العلامات الصغري التى ظهر منها فى هذاالزمان الكثير . ومنها العلامات الكبرى وهي عشر ظهور المهدي وخروج الدجال ونزول سيدنا عيسي عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج وخروج الدابة التى تكلم الناس وطلوع الشمس من مغربها وظهور الدجال ويمكث في الارض أربعين يوما يصيب الكافر حتي يصير كالسكران ويصيب المؤمن منه كهيئة الزكام وخراب الكعبة على يد الحبشة بعد موت عيسي عليه السلام ورفع القرآن من المصاحف والصدور ورجوع أهل الارض كلهم كفارا ثم

ينفخ في الصدور النفخة الأولى فيموت أهل الارض والسموات والصور هو شيء كالقرن كبير جدا ينفخ فيه سيدنا اسرافيل أحد كبراء الملائكة ثم بعد مضي زمان طويل والخلائق موتى ينفخ في الصور مرة أخري فيبعث الله تعالي الموتي من قبورهم ويحشرهم الي الموقف وهو الموضع الذي يقفون فيه لفصل القضاء واجراء حسابهم ومن أهوال الموقف طول الوقوف فيه ودنوّ الشمس من رؤس الخلائق حتى تكون على قدر الميل وخوضهم في العرق الذي هو أنتن من الجيفة ويكون خوضهم فيه علي قدر أعمالهم حتى أن بعضهم يلجمه العرق إلجاما وسؤال الملائكة لهم عن أعمالهم وتفريطهم فيها وشهادة أعضائهم وجلودهم والارض والحفظة الكرام عليهم ولا يصيب شيء من تلك الاهوال الانبياء والأولياء وسائر الصلحاء ثم بعد اشتداد هول الموقف يشفع سيدنا محمد صلي الله تعالي عليه وسلم الشفاعة العظمي وهي شفاعته في فصل القضاء بين جميع الخلائق عند ما يشتد الهول عليهم و يطول وقوفهم فيستشفعون به فيشفع لهم عند ربه في ذلك و بعد ذلك له شفاعات كثيرة منها شفاعته في ادخال قوم الجنة بغير حساب ومنها شفاعته في عدم دخول النار لقوم استحقوا دخولها ومنها في اخراج العصاة الموحدين من النار ومنها في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها ومنها غير ذلك كما جاء في الاحاديث الشريفة و يشفع غيره عليه السلام من الانبياء والرسل والملائكة والصحابة والشهداء والعلماء العاملين والأولياء و يأخذ العباد صحفهم وهي كتبهم التى كتبت فيها الملائكة مافعلوه في الدنيا وتوزن أفعال العباد بميزان وجمهور المفسرين علي أن الموزون هي الكتب التى اشتملت علي أعمال العباد بناء على أن الحسنات مميزة بكتاب والسيئات بآخر ويجب علينا الايمان بالوزن والميزان وتفويض علم حقيقة ذلك الي الله تعالى وتحاسب الخلائق أي يوقف الله تعالي الخلائق علي

أعمالهم خيرا كانت أو شرا قولا كانت أوفعلا تفصيلا بعد أخذهم كتبها ويكون الحساب للمؤمنين والكافرين ويستثني من ذلك من وردت الاحاديث باستثنائه ثم يمر الخلائق علي الصراط وهو جسر ممدود علي متن جهنم يمر عليه الاولون والآخرون وهو طريق الناس الي الجنة فالمؤمنون الطائعون والذين غفرت سيئاتهم يمرون عليه ويخلصون الي الجنة والكفار وبعض عصاة المؤمنين الذين حكم عليهم بالعذاب فى جهنم مدة يسقطون فى نار جهنم فى حال مرورهم علي الصراط ومرور الناجين مختلف فى السرعة والبطء حسب مقاماتهم والحكمة في المرور علي الصراط ظهور النجاة من النار وأن يتحسر الكفار بفوز المؤمنين بعد اشتراكهم في المرور ومما اشتمل عليه يوم القيامة وجود حوض عظيم لسيدنا محمد صلى الله تعالي عليه وسلم يرده المؤمنون ويشربون منه عند العطش الاكبر ثم إن الله تعالى خلق دارين عظيمتين أحداهما دار النعيم وهي الجنة وفيهامن النعيم الذي أعده الله تعالى لعباده المؤمنين مالاعين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر علي قلب بشر وثانيتهما دار العذاب وهى جهنم أعد الله تعالي فيهامن العذاب للكفار والعصاة ماترجف عند ذكره القلوب وتقشعر الجلود أعاذنا الله تعالي منها وهاتان الداران مخلوقتان وموجودتان كما دلت على ذلك الآيات والاحاديث وبعد انقضاء حساب الخلائق ومرورهم علي الصراط يدخل الجنة المؤمنون الطائعون من جميع الامم وعصاة المؤمنين الذين غفرت سيئاتهم أو أدركتهم شفاعة ويدخل جهنم الكفار وعصاة المؤمنين الذين حكم عليهم بالعذاب مدة أما الكفار فلايخرجون منها أبدا وأما العصاة المؤمنون فمآلهم الخروج منها ودخول الجنة بعد انقضاء مدة عذابهم أو نوالهم شفاعة ثم يدوم أهل الجنة خالدين في الجنة وأهل النار الكفار خالدين في النار أبدالآبدين ودهر الداهرين

وكل مامرّ فقدثبت بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة وهو مذهب أهل السنة والجماعة ويجب الايمان بهعلي كل مكلفشرعا والله تعالي أعلم

﴿ توضيحات يندفع بها بعض الشبه الواردة علي مامر فىهذا المقام ﴾

اعلم أنه قد ترد بعض الشبه علي بعض ماذكرهنا فيهذا المقام ولكن هى عند من يؤمن بوجود الله تعالي وعظيم قدرته وواسع علمه ويعتقد أن الله تعالي هو الذي أوجد هذه الأكوان من العدم وصورها علي صور تشتمل على دقائق الحكم لا يصعب عليه الايمان بجميع مامر ولا رد تلك الشبه عن عقيدته بقاطع البرهان وواضح التبيان وأما من لم يكن مؤمنا بوجود ذلك الاله العظيم فالصواب فيحقه أولا أن تقام له الأدلة علي وجوده تعالى ثم بعد ذلك تكشف شبهته فى فيأمثال هذه العقائد وتوضيح رد تلك الشبه أن يقال إن الذي ثبت فىالنصوص الشرعية أن للانسان روحا تتعلق بجسده ويتسبب عنها حياته واذا فارقته بقبض الملك لها حله الموت فبعض علماء الاسلام خاض فيالبحث عن حقيقة هذه الروح ولكن لم يقم معه برهان قاطع شرعي أوعقلي علي بيان حقيقتها و بعضهم وهم أهل الطريق الأسلم ترك الخوض فىهذا البحث إذ لم يرد عن الشارع دليل على حقيقتها بل قدورد فىالشرع مايشير الي أن ترك البحث عن حقيقتها هو الاولي وعلى طريقة هؤلاء العلماء يكفى فىتصديق النصوص الشرعية الواردة فىوجود الروح أن يعتقد المكلف ان لكل انسان روحا وهي شيء موجود الله أعلم بحقيقته وليس القول بوجوده مايخالف العقل وعدم الاحساس به كما يقول بعض الجهلة بأنا لانري شيأ يخرج من فم الميت عند موته لا يقتضي عدمه إذ ربما يكون عدم الاحساس به للطافته كالهواء أو كالأثير الذي يقول به الطبيعيون المتأخرون أولدقته جدا كالحيوانات الصغيرة جدا التى توجد فىالمياه وكثير منها لا يري حتى بالمجسمات

للمرئى أولغير ذلك وكونه بتلك اللطافة أوالصغر وتنشأ عنه الحياة لاغرابة فيه فكم
من عقار أونبات لطيف أوصغير جدا تنشأ عنه حوادث عظيمة لاتحـدها العقول
وكذلك شرارة النار اذا لامست كمية كثيرة من الأجسام القابلة للالتهاب وكما
في الجزء الصغير من السم اذا دخل الجسد ومايحدث عنه وأمثال ذلك كثير مما هو
لطيف أوصغير تنشأ عنه حوادث عظيمة فلاغرابة في تسبب الحياة فى الجسد عن
الروح وان كانت أمرا لطيفا أوصغيرا جدا لاسيما ان الحياة لاتنشأ عن الروح بطبيعتها
بل بخلق الله تعالى والروح انما هي سبب عادي فلااشكال فى ذلك أصلا ثم وان
تـكن الروح بتلك اللطافة أو الصغر فلا مانع أن يجعل الله تعالى للملك قدرة علي
قبضها واخراجها من الجسد ألا تري المغناطيس قدجعل الله تعالى فيه خاصية جذب
الحديد فيجذب ألطف وأدق برادة منه ولولم تر بالعين ولا بمجسمات المرئي وكل
ذلك من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالي فلا شيء يوجب
الاشتباه ثم لما وردت نصوص الشريعة بوجوب اعتقاد البعث أي ان الله تعالي
يعيد الاموات يوم القيامة ويحييهم كان المشركون فى عصر الرسول عليه الصلاة
والسلام يوردون الشبه علي القول بالبعث ويقولون كيف يحيي الله تعالى الاموات
بعد مفارقتهم الحياة وفنائهم وتفرق أجزائهم بين أجزاء الارض فكان القرآن
الشريف يرد عليهم تلك الشبه في آيات كثيرة بما معناه ان الله تعالي تام القدرة
كامل العلم لايعجزه شيء مهما كان عظيما ولايخفي على علمه شيء مهما كان دقيقا خفيا
والذي أوجد الـكائنات من العدم بذلك الاتقان والاحكام هو قادر علي اعادة
الاموات بعد الفناء وإحيائهم للحساب والجزاء ويضرب لهم سبحانه الامثال التى
تقرب ذلك لعقولهم بأن الله تعالي يحيي الارض بعـد موتها بانزال المطر عليها
فتصبح مخضرة مزهرة بهجة بعـد ان كانت قاحـلة يابسة لاتري فيها أثرا للحياة

الي غير ذلك من الامثال التى ترفع عنهم شبه البعث التي قامت عندهم ثم ان علماء الشريعة الاعلام لما وجدوا الفلاسفة المنكرين للبعث شبها أخري يزعمون فيها حصول محالات عقلية على القول بالبعث قال أولئك العلماء رحمهم الله تعالى ان الواجب شرعا على كل مكلف أن يعتقد بحصول البعث والاعادة وان ذلك يحصل علي وجه لا يستلزم محالا عقليا والله أعلم بكيفية ذلك ولا يلزمنا لصحة الايمان بالبعث أن نبين الكيفية التي يجريها الله تعالى فى أمر البعث بل نفوض علمها اليه تعالى ولكن للمحافظة على أفكار الضعفاء فى الدين من الاضطراب نقول في توضيح ذلك من الممكن ان المعاد من الجسم بالبعث هو جميع أجزائه الاصلية أي الباقية من أول العمر الى آخره لا الاجزاء الفضلية التى تتكون فى الجسم من الاغذية ثم تتحلل ويخلفها غيرها وهلم جرا واذا كان الامر كذلك فما المانع من أن الله تعالي العظيم القدرة الواسع العلم يحفظ تلك الاجزاء الاصلية للانسان بعد موته من التفرق ومن زوال صورتها ومن دخولها فى أجزاء أصلية لحيوان آخر يأكل انسانا وان دخلت فى تركيب الاجزاء الفضلية لذلك الحيوان فتنفصل عنها عند انحلالها بموت ذلك الحيوان ثم عند الاعادة والبعث يعيد الله تعالي تعلق الروح بتلك الاجزاء الاصلية للانسان ويضم اليها أجزاء فضلية يكمل بها مقدار الانسان وهيكله كما كان قبل الموت سواء كانت تلك الاجزاء عين ما كانت قبل موت الانسان أو غيرها ويكون الاحساس بالتنعيم والتعذيب انما هو لمجموع الروح ولهذه الاجزاء الاصلية ويصدق علي هذه الكيفية انها اعادة اذ قد أعيد تعلق الروح بالاجزاء الاصلية التى هي حقيقة الانسان بعد ان فارقتها وأعيد لهذه الاجزاء الاصلية الحياة وأعيدت اليها أجزاء فضلية كمل بها هيكل الانسان الذي كان قبل الموت واذا كان الحال كذلك فلا يقال من شبه أولئك الفلاسفة ان

الانسان المنعم أوالمعذب هو غير الذي كان قبل الموت ولايقال ان الروحين تتعلقان بجسد واحد فيما اذا أكل انسان انسانا وصارا بالاغتذاء واحدا ولايقال أن مادة واحدة حاصلة لاناس كثيرين حيث إن المشاهد على ظاهر الارض أجزاء جثث الموت القديمة وقد زرع في الارض زروع كثيرة وغرس فيها أشجار واغتذى منها الناس وانعقد ذلك في أبدانهم لحما ودما لانا مع جميع ذلك تقول ان الاجزاء الاصلية التى كانت مع الروح المتعلقة بها قبل الموت انسانا هي بعينها مع الروح المتعلقة بها عند البعث ذلك الانسان بعينه وقدرة الله تعالي وعلمه يصلحان لاجراء هذه الكيفية التي لاتتضمن محالا أصلا وعدم احساسنا بها لايستلزم عدمها اذ يحتمل أننا نشاهد تفرق الاجزاء الفضلية ولانشاهد الاجزاء الأصلية التي هي حقيقة الانسان امالدقتها واما للطافتها واما لغير ذلك وكم من العوالم لم تزل في حيز الخفاء محجوبة عن حواسنا ولامانع أن تكون هذه من هذا القبيل والملخص أن نصوص الشريعة نطقت بالاعادة والبعث فنحن نؤمن بذلك ونعتقد أنه سيكون علي وجه لايستلزم محالا ولايلزمنا بيان الكيفية علي وجه التفصيل وان احتجنا الي هذا البيان نجد أن مثل تلك الكيفية التي قررناها كافية وافية في اقناع العقول ودفع الشبه كما لايخفي علي المتأمل المنصف وان كنا غير مكلفين باعتقاد هذا التفصيل الذي شرحناه بل الذي نكلف به الايمان بالبعث علي وجه لايستلزم محالا كما تقدم ثم نقول وفي القول بالاجزاء الاصلية التي مر شرحها تندفع الشبه عن نعيم القبر وعذابه اللذين وردت بهما النصوص الشرعية اذ يقال ما المانع أن الله تعالى يجعل للروح تعلقا خاصا بتلك الاجزاء الاصلية بحيث تحس بالنعيم أو العذاب وهي في القبر ونحن وان كنا نشاهد الجسد قد تفرق وتلاشي ولاحياة فيه فتلك الاجزاء الاصلية يجري فيها التنعيم والتعذيب ولانري شيأ من ذلك

لخفائها عن أبصارنا لدقتها أو للطافتها وكذلك تندفع الشبه الواردة على ماجاء من نصوص الشريعة أن بعض الناس هم أحياء عند ربهم يرزقون كالشهداء فانه يقال أيضا لامانع أن الله تعالى يجعل لارواحهم تعلقا خاصا بأجزائهم الاصلية بحيث تكون حية حياة تقبل الرزق والتنعيم بنوع مخصوص هو الذي أخبرت عنه النصوص وان كنا لانرى ذلك وكل ذلك من الجائزات العقلية التى لاتستلزم محالا وداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالي ومن اطلع علي مايقوله المتأخرون من الطبيعيين فى أحوال الحيوانات الصغيرة التى لانري الا بأكبر المجسمات للمرئي من أن لها ادراكا واحساسا وسعيا علي معاشها واحتراسا علي حياتها ومقاتلة لبعضها لبعض واحتيالا على تحصيل رزقها وغير ذلك لم يستبعد ماقررناه في حق الاجزاء الاصلية للانسان وقبولها لتعلق أرواحها بها واحساسها بما يريده الله تعالي لها من نعيم أوعذاب من غير أن نشعر نحن بشيء من ذلك والله علي كل شيء قد يرثم ماورد من أن أعضاء الخلق وجلودهم والارض تشهد عليهم هو من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى كما تقدم توضيح نظيره فى بيان معجزات الرسل من أن منها نطق الجمادات فحيث إن الله تعالي هو الخالق لصفة الكلام فى الانسان ولا يتوقف خلقه لها على حياة ولاغيرها كما أقيم على ذلك البرهان فلامانع أنه تعالى يخلق فى تلك الاشياء الكلام وتشهد علي العصاة بأعمالهم وحكمة ذلك تخويف العباد من ارتكاب المعاصى عند ماتخبرهم الرسل أن أعضاءهم وجلودهم والارض التى يعصون عليها تشهد عليهم يوم القيامة وأيضا اظهار عظمة قدرة الله تعالي في ذلك اليوم وظهور بالغ حجته علي العباد ولله الحجة البالغة ثم ان الصراط الذي يمد علي متن جهنم لمرور الناس عليه كما تقدم شرحه ليس فيه شيء يستبعده العقل لكن في بعض روايات وردت في وصفه ليست من الروايات

المتواترة وان اشتهرت أن الصراط يكون أدق من الشعرة وأحد من السيف وهذه الكيفية قد يستبعدها بعض الضعفاء وان كانت من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة القادر العظيم ومع ذلك فقد نازع في صحة ذلك بعض العلماء الاعلام كالعز بن عبد السلام والشيخ القرافي والبدر الزركشي كما نقله الباجوري على الجوهرة قالوا وعلى فرض صحة تلك الرواية فهو محمول على غير ظاهره بأن يؤول بأنه كناية عن شدة المشقة زاد القرافي أن الصحيح أن الصراط عريض وله طريقان يمني ويسري فاهل السعادة يسلك بهم ذات اليمين وأهل الشقاوة يسلك بهم ذات الشمال وعلي هذا التقرير فلا اشكال يبقى هنا حتى علي أفكار الضعفاء ويكفي المكلف الايمان بوجود الصراط ولو علي هذه الكيفية والله تعالي أعلم

ثم مما تقدم في العلامات الكبري ليوم القيامة طلوع الشمس من مغربها والذي ورد في ذلك الحديث الشريف انها تطلع من مغربها حتى تتوسط السماء ثم تعود فتغرب في جهة المغرب وتستمر بعد ذلك علي عادتها الأصلية وهذا من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالي فمن يؤمن بوجود الله تعالي وعظيم قدرته لا يصعب عليه الايمان بذلك وقد مر توضيح جواز هذا الأمر في نظيره من وقوف الشمس ورجوعها معجزة لسيدنا محمد صلي الله تعالي عليه وسلم ولسيدنا يوشع عليه السلام عند بيان معجزات الرسل وقررنا ذلك هناك بأوضح بيان فارجع اليه ان شئت في فصل المعجزات والله تعالي أعلم

ثم مما تقدم أيضا من تلك العلامات خروج يأجوج ومأجوج وهما أمتان عظيمتان قد جاء ذكرهما في القرآن الشريف وان ذا القرنين سد عليهما طريق خروجهما من أرضهما بالسد الذي اصطنعه وان ذا القرنين قال ما معناه ان هذا السد اذا جاء وعد ربي جعله دكاء أي منهدما وفسر المفسرون مجيء وعد الله بمجيء يوم

القيامة أى قربه وقد جاءت أحاديث صحيحة بتفصيل خروج يأجوج ومأجوج في آخر الزمان وان ذلك من علامات القيامة الكبري فوجب علي كل مكلف الايمان بذلك ومايقال من أن علماء الجغرافيا قدساحوا الارض ولم يعثروا على محل يأجوج ومأجوج فهو كلام لايمنع صدق تلك النصوص الشرعية الواردة بوجودهم في الارض وبيان ذلك أنا نقول أولا لانسلم أن الجغرافيين ساحوا جميع بقاع الارض ولم يدعوا بقعة منها الاورد وهاوانما ساحوا البقاع المسكونة أو القريبة منها وكم من بقاع كثيرة وأودية وجبال توجد في أطراف الارض لم تطأها أقدامهم لاسيما في الاطراف الشمالية خلف جبال الجليد ونهاية المنطقة المنجمدة الشمالية كما يعلم ذلك من الاطلاع علي شروحهم المسطورة في كتبهم ولعل هاتين الامتين توجدان فى بعض بقاع الاطراف التي لم يصل اليها أحد من أهل الجغرافيا وثانيا قد قال علامة المفسرين الامام الرازي رحمه الله تعالي أن الاظهر ان موضع السد هو في ناحية الشمال ولايخفي على العارف بتخطيط الارض أن جهات الشمال بعد سيبريا توجد جبال جليدية لاتنقطع عنها الثلوج فى جميع الفصول ولايمكن لأحد في هذه العصور سلوكها ومن المعلوم أيضا أنه يوجد بعدها مسافة من الارض ممتدة الي انتهاء الارض وحينئذ نقول ماالمانع أنه يوجد خلف تلك الجبال أراض منخفضة عنها بحيث يتسبب عن انخفاضها خفة الثلوج عنها بحيث تصلح لسكنى البشر وأن يكون يأجوج ومأجوج ساكنين فى تلك الاراضي المنخفضة ومن الجائز أن يكون في زمان ذي القرنين الذي مضي عليه الى هذا الزمان ألوف من السنين يوجد واد منخفض موصل لتلك الاراضي وطريق لها وكانوا يخرجون منه للامم المجاورين لهم خارج تلك الجبال ويقاتلونهم فسد عليهم ذوالقرنين مسلك ذلك الوادى وحصرهم خلف تلك الجبال وصاروا غير قادرين علي الخروج من الوادي

لوجود السد ولايمكنهم تسلق الجبال لوجود الثلوج عليها ثم بعد ذلك حدثت حوادث جوية وتتابع نزول الثلوج حتي سدت ذلك الوادى وملاته حتى ساوته بالجبال التى حوله وخفي أثره ثم عند قرب يوم القيامة يذوب الثلج منه بأسباب جوية أو أرضية كالزلزلة ويتيسر للامتين المذكورتين هدم السد والخروج من ذلك الوادى طبق ماجاءت به النصوص الشرعية ووجود الحوادث الجوية التى توجب تراكم الثلوج في بعض الاماكن مئات من السنين ثم زوالها لحوادث أخري غير مستحيل لاعقلا ولا عادة بل اذا فتشنا التاريخ نجد لذلك شواهد ظاهرة كثيرة على وجه الارض وقدرة الله تعالى صالحة لاجراء تلك الأعمال كلها واتمام ذلك التدبير وحيث كان ذلك جائزا داخلا تحت تصرف القدرة الالهية وقد وردت النصوص بخروج هاتين الامتين فى آخر الزمان فنحن نؤمن بذلك ونصدقه وبما قررناه ارتفعت الشبهة التي مستندها سياحة الجغرافيين هذا وأما مايذكر في بعض الكتب أن محل يأجوج ومأجوج في المحل الفلاني من الاقاليم القريبة المعمورة وأن الملك الفلانى الأموي أوالعباسى أرسل الى السد من نظره الي غير ذلك من الأخبار فهي من تأليفات القصاص لاأصل لها يعتمد عليه وان اغتر بنقلها بعض المؤلفين والله تعالي أعلم

ثم مما ذكر فى تلك العلامات ليوم القيامة نزول سيدنا عيسي عليه السلام من السماء وهو أمر جائز عقلا كما أن صعوده الي السماء عند ماطلبته اليهود لتقتله هو أمر جائز أيضا ولا يترتب على ذلك أدني محال فما المانع أن الله تعالي يصعده وينزله بواسطة الملائكة الذين أعطاهم الله تعالي القدرة علي الصعود والهبوط بين السماء والارض كما يأتى بيان ذلك ويحفظ الله تعالي حياته من جميع مايتوهمه المتوهمون فى حق من يصعد الي فوق كرة الهواء فان احتياج الانسان

لتنفس الهواء ماهو الأمر عادي والله تعالي قادر علي حفظ الحياة بدونه وكذلك
من تلك العلامات خروج الدابة التي تكلم الناس هوأمر جائز والله تعالي قادر
علي إعطاء الدابة صفة الكلام وكذلك وجود الدخان في الارض أربعين يوما
كل ذالك من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف القدرة الالهية لاشيء من
ذالك يستلزم محالا فنؤمن بجميع ذلك ونصدق به ولله تعالي حكم في جميع ماتقدم
من أحوال البعث والسؤال والميزان والصراط وغيرذلك تجد كثيرامنها مذكورا
في مطاوي كلام علماء الاسلام والله يتولي هدانا أجمعين

ولنختم هذا الباب بذكر أدلة عقلية على حصول البعث والجزاء وهي وان لم تكن
برهانية قاطعة فهي اقناعية تذعن عندها العقول وتطمئن لها القلوب و بتواردها
بمجموعها علي الفكر يجزم العقل بوقوع البعث والجزاء ولا يعير للشك اذنا صاغية
اعلم أن البعث والجزاء وان كان المشهور أن دليل جوازهما عقلي كما علمته مما مر
ودليل حصولهما بالفعل شرعي وهو النصوص الشرعية الواردة في القرآن الشريف
والحديث المنيف لكن اذا دقق النظر وجد أن لحصولهما دلائل عقلية اقناعية تطمئن
لها القلوب كما قلنا فاستمع مايتلي عليك من كلام العلماء الاعلام في ذلك فنقول
انه بعد اقامة البراهين القاطعة على وجود إله العالم واتصافه بصفات الكمال من
الحكمة والعدل والرحمة لخلقه لاشك أن كل معتقد لذلك يظهر له أن من حكمته
تعالي وعدله بعد أن خلق الخلق وأعطاهم عقولا يميزون بها بين الحسن والقبيح
وقدرا بها يقدرون علي الخير والشر أن يمنعهم عن سوء اعتقادهم به وعن الجهل
والكذب وايذاء الصالحين من خلقه وغير ذلك من القبائح ويرغبهم في عمل
الخير واتصافهم بالاخلاق الفاضلة التي ينتظم بها معاشهم ومن المعلوم أن هذين
الأمرين لايتمان الا بربط عمل الخير بالثواب وعمل الشر بالعقاب وكل من الثواب

والعقاب غير حاصل في دار الدنيا فلا بد من دار أخري يحصل فيها ذلك ولا يقال إنه يكتفى فى الترهيب والترغيب بما أودع في العقول من تحسين الخيرات وتقبيح المنكرات لان الهوى والنفس يدعوان الانسان الى الانهماك في الشهوات الجسمانية واللذات الجسدية واذا حصل هذا التعارض بين ماتدل عليه العقول وبين الهوي والنفس فلا بد من مرجح قوي ومعاضد كامل وماذلك الا ترتيب الوعد والوعيد والثواب والعقاب علي الفعل والترك

ثم من حكمة السلطان الحكيم الرحيم أن يبعث نفوس رعيته للعطف على الفقراء ليعينوهم بشيء من الاموال علي مصالح معاشهم واللائق بالاغنياء أن تكون تلك الاعانة منهم علي وجه الرغبة وانشراح الصدر وبذلك يصلح حال الفقراء ويندفع عنهم الشقاء ويفارقهم العناء فى الجملة وحيث إن النفوس مفطورة على حب المال ولاتسمح بصرف شيء منه الا اذا وجدت عوضا هو خير منه فكان من حكمة الله تعالي أن يجعل دارا غير هذه الدار يكافئ فيها بالخير المتصدقين علي الفقراء والمساكين ويجازي مانعي الصدقات والزكوات بما يستحقون فاذا علم الاغنياء بوجود دار أخرى وأنهم يكافؤن فيها علي الصدقة بعشر أمثالها فحينئذ ينفقون على الفقراء والمساكين برغبة وانشراح صدور لما يرجونه من نوال الاجور بل يرغبون أيضا في الصدقات الجارية التى لاتنقطع فيرصدون الأوقاف الجسيمة ويشيدون للصلوات والاذكار واطعام الطعام المساجد والزوايا والتكايا العظيمة فينتج عن ذلك من الخيرات مالا يدخل تحت الحصر وكل ذلك ناشئ عن الرغبة في نعيم الدار الآخرة والنجاة من عذابها ولولا ذلك لما كان من تلك المآثر الخيرية الا أقل القليل

ثم ان السلطان العادل الحكيم الرحيم اذا كان له جمع من الرعية وكان بعضهم

أقوياء و بعضهم ضعفاء كان من حكمته وعدله ورحمته أن ينتصف للمظلوم الضعيف من الظالم القوي والله سبحانه وتعالى سلطان حكيم عادل رحيم فمن حكمته وعدله و رحمته أن ينتصف لعبيده المظلومين من عبيده الظالمين وهذا الانتصاف لم يحصل فى هذه الدار لاننا نري المظلوم قد يبقى فيها مهانا فى غاية الذلة والقهر مسلوب المال مفضوح العرض والظالم يبقي فى غاية العزة والقدرة فلابد من دار أخري يظهر فيها هذا العدل وهذا الانصاف ثم انه لولم يحصل للانسان معاد لكان الانسان أخس من جميع الحيوانات فى المنزلة والشرف وبيان ذلك أن مضار الانسان فى الدنيا أكثر من مضار جميع الحيوانات فان سائر الحيوانات قبل وقوعها في الآلام والاسقام تكون فارغة البال طيبة النفس لانه ليس لها فكر وتأمل أما الانسان فبسبب ماله من العقل يتفكر أبدا في الاحوال الماضية والاحوال المستقبلة فيحصل له بسبب أكثر الاحوال الماضية أنواع من الحزن والاسف ويحصل له بسبب أكثر الاحوال الآتية أنواع من الخوف فثبت أن حصول العقل للانسان سبب لحصول المضار العظيمة في الدنيا والآلام النفسانية الشديدة القوية أما اللذات الجسمانية فهي مشتركة بينه و بين سائر الحيوانات لان السرقين في مذاق الجعل طيب كما أن أفخر الحلويات في مذاق الانسان طيب فلو يحصل للانسان معاد به تكمل حالته وتظهر سعادته لوجب أن يكون كمال العقل سببا لمزيد الهموم والغموم والاحزان من غير جابر يجبر ذلك ومعلوم أن كل ما يكون كذلك فانه يكون سببا لمزيد الخسة والدناءة والشقاء والتعب الخالية عن المنفعة فثبت أنه لولا حصول السعادة الأخروية لكان الانسان أخس الحيوانات حتى الخنافس والديدان ولما كان ذلك باطلا قطعا علمنا أنه لابد من الدار الآخرة والانسان خلق للآخرة لاللدنيا نعم ان هذه الدار هي كالممر

بين الاخيار والاشرار ليجزى الاولون بالثواب والآخرون بالعقاب لان كل من كان شريرا فالنار أولي به ويكون حظه من الوجود مايحصله من لذات هذه الدار الفانية فلذلك نراها موفورة لكثير من أهل الزيغ الاشرار منغصة علي كثير من أهل الايمان الاخيار ومن هذا المقام يعلم أن مذهب المنكرين للمعاد من الكفار شر لا يماثله شر لانه يلزم عنه أنه لاحلال ولا حرام أصلا ومع هذا يمتنع العمران وقولهم بأن نظام العالم يكمل بمعرفة الانسان ماله من الحقوق وماعليه من الواجبات الانسانية وهذه المعرفة تكفل له بالعلم الصحيح التام العام نقول فى جوابه انهم قد غفلوا عن أن الاهواء والشهوات وحب الذات لايقاومها مجرد القوانين التى يقيمها العلم السياسي فلابد من وازع آخر يزع النفوس عن المضار ومرجح يرجح اتباع طريق الخير وهجران سبيل الشر وهو الايمان بالمعاد والمكافأة علي الاعمال ان خيرا فخير وان شرا فشر والا فليتأمل العاقل فى الانسان اذا كان يعتقد أنه مثل نبات الارض ينبت ثم يزول لا إلى رجعة وليس له حظ من وجوده الا لذاته الحيوانية التى ينالها مدة حياته فمهما سن له العلم السياسي من الضوابط لمعرفة ماله وماعليه فاذا قدر علي قتل سواه وأخذ ماله الذي يبلغ الملايين بدون أن يطلع عليه أحد من الناس أوهتك أشرف عرض و بلوغ لذة بدون اطلاع أحد فهل يظن أن تلك القوانين التي سنها له العلم السياسي تردعه عن ارتكاب ذلك لايقول بذلك الاميكابر ومن المعلوم أن الانسان مفطور على حب ذاته فمن يدري به حق الدراية لايأمن له في شيء الا اذا وجده مرتبطا بالدين وانا نري أن بعض الامم تعتقد المعاد ويظهر فيها من بعض أفرادها مايظهر من الفساد فكيف يكون حالها لو نسخ هذا الاعتقاد منها فبلاشك أن فسادها يصير عظيما جدا علي أننا نري الامم التى انتشر بينها العلم الدنيوي لاسيما السياسي فى هذا الزمان لاتزال

آخذة في سبيل الشرور بل كلما ازداد ذلك العلم بينها ازدادت شرورها وفشا بينها الزنا الذي يضيع الانساب ويحل عقد التناصر وقتل النفس والانتحار وازالة العقل بالمسكرات والاحتيال بفنونها وصنائعها علي سلب الاموال والغش والخديعة وكثير من الاخلاق المخلة بنظام الهيئة الاجتماعية وماذلك الا لأن علومها التى برعت فيها ليس لها فى اعتقاد المعاد نصيب وبالظن أن تلك الامم لولا بقية من اعتقاد المعاد قائمة بينها لوجدناها قد هوت للدمار وأخذت تنمحي من لوح الوجود . ومما يضحك الثكلي أن القوم الذين ينكرون البعث والمعاد لما لاحظوا أن العلم لايتكفل بنظام الهيئة الاجتماعية الا اذا كان تاما عاما في جميع الافراد الانسانية اشترطوا فى تكفله بذلك أن يكون تاما عاما ثم قالوا لابد من ذلك يوما ما الا أن ذلك بعيد جدا وربما يلزم له ألوف من الاجيال فهم فى رفضهم لاعتقاد المعاد وتمنيهم فى العلم هذه الاماني الواهية مثل الطبيب الاحمق الذي يقول للمريض بالمرض القتال اترك الحمية وكل ماشئت واني بعد كذا وكذا من السنين آتيك بدواء يكون به شفاؤك فالي أن يأتيه بذلك الدواء يكون المريض قد هلك وأصبح عظاما نخرة علي أنه ليس من حسن التدبير وكياسة الرأي والاخذ بالحزم مع عدم اعتقاد أولئك المنكرين للمعاد أن يجاهروا به بين العموم حتى يروا أن العلم الذي يزعمونه بمجرده متكفلا بحفظ نظام العالم قد تم وعم والا فهم بمجاهرتهم بهذا القول الباطل قد فتحوا باب الدمار علي العالم ونعوذ بالله تعالي أن يشيع هذا الفكر بين الامم ومعاذ الله تعالي أن يشيع والعقول تأباه هدانا الله واياهم لما فيه خير الانام والنصيحة لهؤلاء المنكرين أن يأخذوا بالحزم والاحتياط ويتصوروا أنهم اذا صدقوا بالمعاد وتأهبوا له فاذا كان حقا نجوا وان كان باطلا لم يضرهم هذا الاعتقاد غاية مافى الباب أن يقال أنه تفوتهم اللذات الجسمانية لكن هذه اللذات

يجب على العاقل أن لا يبالي بها لامرين أحدهما أنها في غاية الخساسة لانها مشترك فيها الخنفساء والديدان والثاني أنها منقطعة سريعة الفناء والزوال فالحرص عليها لايساوي ترك الحزم والاحتياط فى الامر الذي تخشي عواقبه والله الموفق

﴿ الباب الثالث في ردشبه عن نصوص شرعية تعتمد فى الاعتقاد أو التوفيق بينها وبين مايثبت بالدليل العقلي القاطع مماينافي المعاني الظاهرة لتلك النصوص وفيه أربعة فصول ﴾

اعلم أننا فى هذا المقام نحتاج الى ثلاث مقدمات

﴿ المقدمة الاولى ﴾

ليعلم أن النصوص الشرعية التى يعتمد عليها في الاعتقاد كما يعتمد عليها فى أحكام العبادات وأحكام المعاملات هي الآيات القرآنية و بعض أحاديث نبوية ثبت نقلها لنا عن الرسول عليه الصلاة والسلام ثبوتا قطعيا تسمى بالمتواتر أو بعض أحاديث ثبت نقلها عنه عليه السلام ثبوتا قريبا من القطعي يوجب طمأنينة القلب والطمأنينة هي فوق الظن ودون اليقين وتسمي هذه الاحاديث بالمشهورة ثم ان كل نص من هذه النصوص يجب علينا أن نعتمد فيه معناه الظاهر المتبادر منه ولا يسوغ لنا تأويله وصرفه الي معني آخر غير متبادر الا اذا قام دليل عقلى قطعي يناقض معناه الظاهر فحينئذ يكون قيام ذلك الدليل العقلي قرينة دالة لنا علي أن معناه الظاهر غير مراد الشارع بل مراده معنى آخر غير مايتبادر منه فنؤول النص حينئذ ونصرفه الى معنى آخر غير الظاهر المتبادر علي سبيل الاحتمال يكون قابلا له وغير مناقض لذلك الدليل العقلى القطعى هذه هي القاعدة الكلية في النصوص الشرعية التى اعتمدها أهل السنة والجماعة وانما لم يجز ارادة غير المعني الظاهر من النص الا لداع يدعو اليه لان الاصل في التخاطب ارادة

المعنى الظاهر المتبادر دون خلافه اذ إرادة غير الظاهر من غير داع ولا قرينة يكون خللا في الافادة والاستفادة وفي ذلك من المفاسد مالا يخفي وانما المحصر الداعي الي ترك الظاهر بمعارضة الدليل العقلي القاطع لان رفض هذا الدليل رفض للاصل الذي ثبت به صدق الرسول عليه الصلاة والسلام وهو العقل اذلولاه لما أمكننا الاستدلال على صدقه عليه السلام بدلائل المعجزات ورفض العقل يوجب رفض الشرع وأما معارضة الدليل العقلي الظني فلاتكون داعيا لترك الظاهر من معني النص لان رفض الدليل الظني لايوجب رفض العقل كما هو واضح لاحتمال أن هذا الظن باطل في نفس الامر فاوتركنا الظاهر من النص لاجل الدليل الظني لكنا في معرض أن يكون اعتقادنا خطأ لاعتمادنا على الظن وحينئذ لانعذر في ذلك اذ لاضرورة تدعونا اليه كما تدعونا الضرورة عند معارضة الدليل العقلي القطعي على أن اتباع الدليل الظني وترك ظواهر النصوص يوجب اختباطا واختلاطا في الاعتقاد لايجد فان الظنون كثيرة والاعتقاد في الشرائع انما يعتقد فيه اليقين فكان الصواب أن يتمسك بظواهر النصوص اليقينية الورود ولا يتحول عنها لمجرد الظنون

ثم قد يوجد في الاحاديث النبوية نصوص لاتتوفر في نقلها عن الرسول عليه السلام الشروط التي تبلغ بها درجة المتواتر أو المشهور فلا يكون ثبوت ورودها يقينيا بل ظنيا وتسمى بالآحاد ويعتمد عليها في أحكام العبادات والمعاملات ولايجب أن يعتمد عليها استقلالا في الاعتقاد حيث إنها ظنية والاعتقاد لايعتمد على الظن ولكن اذا نقلها العدول وصارت معتمد الفقهاء في الاحكام لايجوز انكارها حيث لم يعارضها معارض عقلي لئلا يجر ذلك الى انكار المتواتر والمشهور الموجب انكارها الكفر أو التضليل والعياذ بالله تعالي ثم اذا اكتنف الآحاد مايقويها

ويجعلها يقينية الثبوت فيعتمد عليها حينئذ في الاعتقاد كما قيل في حديث عذاب القبر والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ المقدمة الثانية ﴾

إعلم أنه لا يجب علينا شرعا من الاعتقادات إلا ما قام عليه الدليل العقلي القاطع الذي لا يحتمل النقيض أو ما قام عليه الدليل الشرعي بأن نقل لنا عن الرسول عليه الصلاة والسلام آية قرآنية أو حديث متواتر أو حديث مشهور يدل علي ذلك ولا يجب علينا تقليد غير الرسول المعصوم عليه الصلاة والسلام فيما ثبت عنه قطعيا وأما اذا نقلت لنا مسئلة اعتقادية عن أكبر علماء الأمة الاسلامية من غير إظهار دليلها العقلي القاطع أو دليلها الشرعي الثابت قطعيا عن الرسول عليه الصلاة والسلام فلا يجب علينا تقليده فى تلك المسئلة لاسيما اذا كانت مناقضة لظاهر من ظواهر نصوص الشريعة التى تعتمد في الاعتقاد نعم اذا أول بعض العلماء الذين يعتمد عليهم فى فهم النصوص الشرعية بعض تلك النصوص بتأويل مناسب موافق للقواعد الشرعية والاصول العربية فالأخذ بتأويله سائغ غير مضر فى عقيدتنا اذا ظهر لتأويله داع قوى مثل الدليل العقلي القاطع الذى يحمل علي التأويل وصرف النص عن ظاهر معناه فانه حينئذ يكون الأخذ بتأويله هو الصواب ولا يقال إننا قلدنا ذلك العالم في الاعتقاد وانما يكون اعتقادنا معتمدا علي النص وقلدناه بفهم النص وتأويله لانه هو أعلم منا بذلك فمن هنا يظهر لك خطأ بعض أهل هذا العصر في تقليد فلان الفلكي أو فلان الجغرافي أو فلان الجيولوجي المشهورين في فنونهم في بعض مسائل ربما تكون مخالفة لظواهر نصوص الشريعة التى تعتمد في الاعتقاد فهذا الحال ربما يوقع هؤلاء المقلدين في الخروج عن الدين والعياذ بالله تعالي وهم لا يشعرون والذي يوقع أولئك المقلدين في تقليد فلاسفة هذا الزمان

في تلك المسائل هو أنهم نظروا لهم أدلة في بعض مسائل فنونهم يقينية قطعية كأدلتهم في المسائل الحسابية والهندسية وبعض التجربات الطبيعية المحسوسة فاغتروا بهم وأوقعهم الوهم في اعتقاد أن كل ما يقوله أولئك الفلاسفة صواب يقيني الثبوت وأنهم لا يعتمدون في أدلتهم في جميع فنونهم الا علي اليقين ولم يدروا أنه يوجد فرق بين أدلة المسائل الحسابية وماذكر معها وبين أدلة كثير من المسائل الفلكية مثلا بأن تلك يقينية وهذه قد يوجد بينها كثير من الظنون والتخمينات وقياس الغائب علي الشاهد الذي قد يكون في نفس الأمر قياسا فاسدا وان قيل إن بعض تلك المسائل التي يقلد بها المقلدون فلاسفة هذا الزمان تكون مجمعا عليها عندهم قلنا إنا معشر المسلمين لسنا مأمورين في شريعتنا بتقليد اجماع الا اجماع هذه الامة المحمدية أي اجماع علمائها الذين هم أهل الاجتهاد وفهم نصوص الشريعة حيث شهد لهم الرسول عليه الصلاة والسلام بأنهم لا يجتمعون علي ضلالة على أن اجماع هؤلاء الفلاسفة علي بعض تلك المسائل قد يكون مبنيا علي دليل ظني فلا يفيد عصمة اجماعهم من الخطأ لا سيما في المسائل التي تكون بعيدة الموضوعات عنهم كما في المسائل الفلكية والجوية فان معظم أدلتهم فيها الحدس والتخمين وقياس الغائب على الشاهد كما يعلم من الاطلاع على كتبهم التي تقرر فيها تلك المسائل ولنا عبرة فيما حدث على مذهب المتقدمين من الفلكيين في وجود الافلاك وما لها من الاحكام فانه قد مرت عليه المئات من السنين وهم مجمعون عليه وكم ألفوا فيه من الكتب وكم دونوا من الأصول والقواعد وكم صوروا صور الافلاك وذكروا لها من الاحكام الطويلة العريضة فجاء المتأخرون وأبطلوه من أصله وصار بينهم بعد خرافة من خرافات البشر اذا تقرر هذا فاعلم أنه كان من حق أولئك المقلدين لفلاسفة هذا الزمان في بعض المسائل المخالفة لظواهر نصوص الشريعة

الاسلامية أن يبحثوا عن أدلتهم فيها ويطلعوا عليها فان كانت ظنية فلا يلقون لها بالاولا يتركون اعتقاد ظواهر نصوص شريعتهم القطعية الثبوت عن رسولهم الصادق المعصوم وان كانت أدلة يقينية ولم يبق معاريب في دلالتها على ما يناقض ظواهر نصوص الشريعة فحينئذ يسوغ لهم تأويل تلك الظواهر والتوفيق بينها وبين تلك المسائل كما هو القاعدة التي مر تقريرها عند أهل السنة والجماعة وان لم يكن أولئك المقلدون أهلا للتأويل فليرجعوا فيه إلي علماء الدين الاعلام فيفهمونهم التأويل اللازم الجاري علي قواعد الشريعة وأصول اللغة العربية التي جاءت به النصوص الشرعية ويأمنون علي ايمانهم الذي بها سعادة الدارين والله الموفق

﴿ المقدمة الثالثة ﴾

إن الشريعة المحمدية بل وسائر الشرائع انما يقصد منها بيان ما يرشد الخلق الي معرفة الله تعالى باعتقاد وجوده واتصافه بصفات الكمال والى كيفية عبادته وأداء شكره والى الاحكام التى توصلهم الي انتظام المعاش وحسن المعاد وأما تعريفهم بمباحث العلوم الكونية من كيفية خلق العالم وماهي النواميس القائمة في السماويات أوفي الارضيات وأمثال ذلك فليس شيء من نحو هذا من مقاصد الشرائع بل هذه المباحث هى معارف تتوصل الناس اليها بعقولهم فربما ينتفعون بها في دنياهم وربما يكون حظهم منها مجرد الاطلاع والشرائع لا تلتفت اليها أولا وبالذات ولا تعتنى بتفاصيلها نعم قد تذكر شيأ منها مجملا علي قدر ما يكون له دخل في مقاصدها الاصلية فتذكر مثلا خلق السموات والارضين وابرازها من العدم واختلاف أنواع المخلوقات فى التنوعات وكيفية تدبير الاكوان واعطاء كل منها نظامه علي سبيل الاجمال لأجل أن يكون ذلك دليلا عقليا للناس علي وجود إله العالم وعلي

اتصافه بالعلم والقدرة والحكمة الي غير ذلك وقد تفصل بعض تلك المباحث لداع يدعو الي ذلك يكون مرجعه الى مقاصدها اذا تقرر هذا فنقول

﴿ الفصل الأول في رد الشبه عن النصوص الشرعية الواردة في السماويات والارضيات أوالتوفيق بينها و بين ماقام عليه الدليل العقلي القاطع مناقضا لظواهرها ﴾

اعلم أنه قدورد في نصوص الشريعة الاسلامية التي تعتمد في الاعتقاد أن الله تعالى خلق سبع سموات وخلق جسما كبيرا فوق تلك السموات يسمى كرسيا وجسما آخر فوقه يسمي عرشا وان بيننا و بين تلك الاجسام مسافات عظيمة كما أن بينها مسافات وانه تعالي خلق جسما كبيرا يسمي لوحا وجسما آخر يسمي قلما لاثبات مايكون في العالم وتسطيره لاعن حاجة الى جميع ذلك بل لحكم هو يعلمها سبحانه وانه خلق دارا تسمى الجنة أعدها لنعيم الطائعين ودارا أخري تسمي جهنم أعدها لعذاب غير الطائعين بعد خراب عالم الارض والسموات و بعث الناس بعد الموت كما تقدم وأنه خلق الكواكب وجعلها زينة السماء الدنيا أي السماء القربي من الارض فقال بعض علماء الاسلام هي مركوزة في نفس السماء وهو قول جمهور المفسرين وقال بعضهم هي دون السماء بينها و بين الارض وهو منقول عن مكي وعن وهب ونقله في مختصر الهيئة السنية للقرماني عن كثير من المفسرين وغيرهم ونقل الشيخ مرعي الحنبلي في عجائب المخلوقات حديثا آحاديا يدل عليه وكذلك نقل هذا الحديث أبو جعفر محمد بن عبد الله الكسائي في كتاب الملكوت ونقل الرازي أثرا عن كعب في تفسير سورة القدر صريحا في أن الشمس دون السماء الدنيا وعلي هذا القول فيكون معنى كونها زينة السماء الدنيا انها زينة لها بحسب مرأي الناظرين اليها وان كانت تحتها وهذا لايلزم منه أن تكون مركوزة في

نفس السماء ولعل أصحاب هذا القول يتأولون قوله تعالي (وجعل القمر فيهن نورا) أي في السموات نظير هذا التأويل وورد أيضا من نصوص الشريعة ما يفيد أن كلا من الكواكب يسبح في فلك فقال بعض علماء الاسلام ان الفلك هو جسم يحمل الكواكب وقال بعضهم هو مداره أي الحيز الذي يسير فيه من الفراغ وهذا قول الضحاك كما في الرازي والذى عليه جمهور علماء الاسلام أن السماء مرئية لنا كما يستفاد من ظاهر بعض النصوص وقال بعضهم انها غير مرئية وانما المرئي الهواء نقله في عجائب المخلوق عن القاضي أبي بكر بن العربي ولا بد انه يؤول النص الذى يدل ظاهره على أنها ترى بتأويل مناسب وورد أيضا في النصوص الشرعية أن الله تعالى خلق سبع أرضين فقال بعض العلماء ان المراد بها أقاليم أرضنا السبعة وقال بعضهم إن المراد طبقات الارض المتراكمة على بعضها وروي في بعض الآثار عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ان كل أرض منها كأرضنا وفيها عالم كعالمنا وورد من النصوص ما ظاهره أن الارض بسيطة كما في قوله تعالي والارض بعد ذلك دحاها وهو مذهب جمهور علماء الاسلام وقال بعضهم انها كروية وممن قال بذلك الامام الرازي وتأولوا قوله تعالى (دحاها) بأنه جعلها صالحة لسكنى الحيوانات بعد أن لم تكن كذلك وظاهر بعض النصوص يفيد أن الشمس هي التى تسير كما قال تعالى (والشمس تجري لمستقر لها) وقوله تعالي (وجدها تطلع) و (وجدها تغرب) وكما يفهم من استعمال أهل الشرع في عصر النبي صلى الله عليه وسلم و بعده من قولهم طلعت الشمس وغربت الشمس وظاهر ذلك أن الارض ساكنة وان لم يرد تصريح بحركتها ولا بسكونها فيجب علينا معشر المسلمين الايمان بما تعطيه ظواهر هذه النصوص والأخذ بقول جمهور العلماء فيما فهموه منها وتأويل بعض العلماء المخالف للجمهور وان كان الأخذ به

لا يضر في الدين بفساد الايمان لانه جار علي تأويل مناسب ولكن حيث لم يظهر لنا داع قوي يدعو لذلك التأويل فالاخذ بقول الجمهور واعتمادنا علي مافهموه من النصوص يكون هو الموافق لقواعد الدين الاسلامي

فان قيل ان المتأخرين من الفلاسفة الفلكيين يدعون أنهم بارصادهم وبوسائط الآلات التى اخترعوها للنظر في أحوال السماويات قد ثبت عندهم أنه لا يوجد في الكون الا الكواكب وان أرضنا التى نحن عليها هي كرة ومعدودة من جملة الكواكب وأن الشمس واقفة في الوسط تدور فقط على محورها دورة بطيئة والارض وجميع الكواكب تدور حولها بواسطة ناموس يسمي ناموس الجاذبية وان لأرضنا كالغيرها من الكواكب دورتين دورة سنوية حول الشمس منها تتولد الفصول الاربعة ودورة يومية على محورها ومنها تتولد أوقات الليل والنهار بواسطة مقابلة نور الشمس تارة والاستتار عنه أخري وان الذي نراه من الزرقة انما هو لون الجو وليس هو سماء اذلا وجود للسموات عندهم ولا يقولون بوجود أرضين غير هذه الارض وشاعت أقوالهم هذه وأخذ بها الكثير من عامة الاسلام من غير التفات الي التوفيق بينها وبين النصوص الشرعية التى تقدمت · فكيف يكون التوفيق وما الحكم في ذلك . قلنا قد تقدم لك أنه يجب علينا اعتقاد ظواهر النصوص الشرعية واعتماد ماعليه الجمهور في فهم معانيها ولا يجوز لنا تأويل النصوص وصرفها عن ظواهرها الا لداع قوي وهو قيام الدليل العقلي القاطع المناقض لظواهر النصوص ولا يجوز لنا تقليد علماء الاسلام في أمر الاعتقاد من غير أن يظهر والنا دليلا عقليا أو شرعيا فكيف بمن سواهم وعلي هذا فمن بلغه منا معشر المسلمين أقوال أولئك الفلكيين المتأخرين من غير دليل عقلي قاطع يثبت كل مسئلة من المسائل التى يدعونها فيما تقدم أو بدليل ظني لاينتج اليقين فعليه أن لا يلتفت

لكلامهم ولا يتحول عن اعتقاد ماتعطيه ظواهر النصوص الشرعيـة التى تقدم
نقلها ولا يهمل اعتماده على مافهمه جمهور علماء الاسلام منها هـذا هو الواجب
عليه والحافظ لايمانه من الاختلال وأمااذا بلغ أحدا منا كلامهم المتقدم مع إقامتهم
له الدليل العقلي القاطع الدال علي كل مسألة من المسائل المذكورة من مسائلهم
ويكون ذلك مناقضا لظواهر النصوص التى تقدمت بخصوص تلك المسائل فعليه
أن يرجع حينئذ الى القاعـدة الـكلية التى تقدم لنا تقريرها وهي تأويل تلك
النصوص وصرفها عن ظواهرها الى احتمال معان تناسب ماقامت عليه أدلة أولئك
القوم العقلية القطعية اليقينية ولاضرر عليه في ذلك بعد أن يتحقق صحة أدلتهم
وافادتها اليقين الذي لاشبهة فيه . اذا تقرر هذا فنقول فى رد شبه هـذا المقام
والتوفيق بين نصوصه وبين مايفرض تحققه من الادلة اليقينية المناقضة لتلك النصوص
أماقول أولئك الفلـكيين ان الـكواكب قائمة في الفضاء بناموس الجاذبية وليست
مركوزة بسماء فهو أمر جائز عقلا داخل تحت تصرف قدرة الله تعالي ويكون
ذلك الناموس من جملة الاسباب العادية التي وضعها الله تعالى فى الاكوان فاذا
قام لنا الدليل العـقلي القاطع علي قيام تلك الـكواكب فى الفضاء كما يقولون تتأول
النص الذي ظاهره أن الـكواكب مركوزة فى السماء وهوقوله تعالي وزينا السماء
الدنيا بمصابيح بأنه من المحتمل أن يكـون مراده تعالي بكونها زينـة أنها زينتها
بحسب مرأي الرائين وان كانت تحتها كما قال بذلك جملة من علماء الاسلام وتقدم
نقله عن مكي ووهب وكثير من المفسرين وكعب ونأخذ بقول من قال من علمائنا
ان المراد بأفلاك الـكواكب هو مداراتها من الفضاء التى تدور فيها لا أنها أجسام
تحملها ولـنكون قد جرينا علي قاعدة التأويل عند قيام الدليل القطعى المعارض
مع الموافقة لجملة من العلماء علي أسهل وجه

وأما قول أولئك الفلكيين ان المرئي لنا من الزرقة هو لون الجو فغاية ماعندهم من الدليل ان نظاراتهم المجسمة لم تكشف لهم جسما غير الكواكب قائمة في الفضاء ولذلك أنكروا وجود السماء ونقول ماالمانع ان السماء لشدة بعدها عن الارض بمسافات شاسعة ماعادت النظارات صالحة لان تحقق جسميتها لهم ويمكن أن يكون لونها هو الذي يخفي حقيقة جسميتها وهذا هو الذى أوهمهم عدم وجود جسم فى الفضاء غير الكواكب علي أن بعض علماء الاسلام وهو القاضي أبو بكر بن العربي قد قال بأن السماء غير مرئية وتأول النص الذي ظاهره انها تري كما تقدم ولايلزم من عدم رؤيتها عدم وجودها كما هو القاعدة المسلمة من أنه لايلزم من عدم الوجدان عدم الوجود والله تعالي أعلم

وأما قول هؤلاء الفلكيين ان الارض كرة فبعد اقامتهم لنا الدليل العقلي القاطع الدال علي كرويتها لامانع لنا من القول به ويمكن تأويل النص الذي ظاهره انها مبسوطة كقوله تعالى (والارض بعد ذلك دحاها) بأن جعل سطحها صالحا للسكني بعد أن لم يكن كذلك مع أنها فى نفسها كرة كما قال به الرازي وغيره ولا بد أنه قام الدليل القاطع لدي من قال من علماء الاسلام بكرويتها والله تعالى أعلم

وأما قولهم ان الشمس لاتسير حول الارض وانما لها دورة بطيئة علي محورها والارض هي التى تدور دورتين احداهما سنوية حول الشمس تتولد منها الفصول الاربعة والاخري يومية علي محورها تتولد منها أوقات الليل والنهار فنقول هذا من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالي فاذا أقاموا لنا الدليل العقلي القاطع علي ذلك فلامانع من القول به ونتأول ماظاهره من النصوص الشرعية أن الشمس تسير وهو قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها بان المراد من جريها هو دورانها علي محورها وانها تجري الي استقرار يكون لها بعد ذلك

عند مايخرب عالم السموات والارض بمجيء يوم القيامة فانها حينئذ تقف عن تلك الدورة وأن سبحها في فلكها عبارة عن دورتها على محورها في الحيز الذي هو فلكها كما تقدم أن الفلك هو الحيز في تفسير بعض علمائنا وأما الارض فانه وان لم يرد تصريح في النصوص الشرعية بحركتها أو بسكونها ولكن نسبة الجرى والسبح في الفلك الي الشمس وظواهر استعمالات الشرع وأهل العصور الاسلامية تدل بالظاهر علي أنها ساكنة والحركة اليومية التي نراها انما هي للشمس والكواكب لا للارض فاذا أقام لنا هؤلاء الفلكيون الدليل العقلي القاطع على أن تلك الحركة اليومية للارض تدور علي محورها يمكننا أن نصرف النص الذي ظاهره سير الشمس علي ظاهره كما تقدم كما يمكننا أن نقول ان استعمالات الشرع فيما يدل ظاهره علي أن الدورة اليومية للشمس لا للارض وجرى علي ذلك استعمالات العصور الاسلامية انما كان ذلك جريا علي الظاهر المشاهد للعامة ومجاراة لاستعمال الامم وما ألفوه في نظرهم وتكون هذه المسألة من جملة المسائل التى لم يؤذن للرسل بشرحها للعموم لان كشف حقيقتها ليس من مقاصد الشرائع لما تقدم أن مقاصد الشرائع انما هو بيان التوحيد والعبادات ونظام المعاش وأيضا بيان تلك المسئلة ربما قد يعجز عن فهمه كثير من العامة بل ربما يكون فيه للعامة اضطراب واختلال لاسيما الضعفاء منهم الذين يجدون ذلك مخالفا المشاهد لهم ولسنا نقول ان فهم هذه المسئلة يصعب علي أجلاء الصحابة رضي الله عنهم الذين حازوا من المعارف النبوية مايؤهلهم لفهم أعظم المسائل وأدقها بل نقول ان فهمها يصعب على العامة لاسيما أهل البوادى ولينظر لوقيل للعرب الجاهلية ان الارض هي التي تدور والعالم على ظهرها لا يسقطون عنها ولا ينفصل عنها ماء البحر ونحو ذلك وهم يشاهدون بأبصارهم أن الدائر حول الارض انما هو الشمس

والكواكب ماذايكون حالهم حينئذوماكان يظهر فيهم من المخالفة والامتناع عن التصديق لهذا القول وانظرالي مااستبعدوه وأنكروه من أمر البعث وأمثال ذلك ولكن الشرائع في غنية عن بيان مثل مسألة الارض اذ ليست من مقاصدها وأما بيان البعث فهو من مقاصدها لما فيه من الترهيب والترغيب المصلحين للامم فلذلك لم تترك بيانه وان صعب فهمه علي كثير بل ذكرته وأقامت الدلائل عليه والملخص أن الشرع جرى في استعماله علي ظاهر الحال ويسمي ذلك في اصطلاح اللغة تجوزا ولم يظهر الحقيقة للشعب لما قدمنا وهكذا نري الآن من يعتقدون دورة الارض يجرون في استعمالاتهم علي ماهوظاهر الحال و يقولون طلعت الشمس وغربت ولم نسمع أحدامنهم يقول قابلنا الشمس أواستترناعنها وكل هذاجائزفي الاستعمالات اللغوية لقيام الصورة الظاهرية بالمشاهدة وليعلم أن جميع ماقررناه هنا وان كان سائغا لناولاضير فيه إلا أنا لانقول به الا بعد إقامة الدليل العقلي القاطع علي صحة قول هؤلاء الفلكيين والا فنحن متمسكون بالظواهر لانفارقها ولانلتفت إلى أقوالهم وإجماعهم اذ ليسوا معصومين من الغلط كما لم يعصم أسلافهم والله تعالى أعلم

وأما إنكار هؤلاء الفلكيين لوجود السموات السبع والعرش والكرسي والقلم واللوح والجنة والنار فهذا ليس لديهم دليل عليه إلا أنهم ماوجدوا هذه الاشياء ولارأوها بنظاراتهم المجسمة ونقول ان عدم الوجدان لايستلزم عدم الوجود في نفس الامر وهذا مسلم عند جميع العقلاء فانكارهم لايعبأ به ثم اننا نحن واياهم متفقون علي وجود الفضاء الذي لايتناهي فما المانع من أن الله تعالي خلق تلك الأجسام وراء عالم الكواكب بعد تسليم أن الكواكب قائمة في الفضاء وتلك الأجسام تكون بعيدة عنا بمسافات شاسعة لاتدركها نظاراتهم

أو أنها وإن أدركت بها السماء الدنيا التي هي أول تلك الأجسام فربما تكون تلك السماء ملونة بلون يوجب عدم تحقق جسميتها بالنظارات فهم لم يروا بنظاراتهم ولم يتحققوا إلا جسمية الكواكب فانكروا تلك الأجسام وهي موجودة في الفضاء الواسع الشاسع وحيث إن ذلك جائز محتمل داخل تحت تصرف قدرة الله تعالى بأن يخلق سبحانه تلك الأجسام ويقيمها في ذلك الفضاء كما أقام الكواكب وقد أخبر بوجودها الصادق عليه السلام فنحن نؤمن بوجودها وليس لنا تأويل نصوصها الواردة فيها إذلا داعي لذلك لعدم قيام دليل قاطع يناقض وجودها ومجرد انكار أولئك القوم ليس دليلا ظنياً فضلا عن أن يكون دليلا يقينيا والله تعالى أعلم

وأما انكارهم كون الأرضين سبعا فهذا أيضا لادليل لهم عليه فغاية ماعندهم أن يقولوا إننا لم ننظر غير الكواكب وهذه الأرض ونحن نقول أولا انه لم يتفق جميع علماء الاسلام الذين يعتمد علي فهمهم للنصوص الشرعية على حمل النص الذي يدل علي وجود سبع أرضين على ظاهره من وجود سبع أرضين منفصلة مستقلة كل واحدة منها بل بعضهم قال إن المراد بها أقاليم أرضنا السبعة وبعضهم قال ان المراد بها طبقات أرضنا وثانيا اذا جرينا علي مانقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه من أن كل واحدة منها منفصلة مستقلة مثل أرضنا وأن فى كل منها عالما كعالمنا فهذا شيء من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالي الذي أوجد هذه الكواكب العظيمة التي يوجد بينها مايزيد فى العظم عن أرضنا بمئات الألوف فما المانع أن يكون الله تعالى قد خلق ست أرضين غير أرضنا وتكون تلك الارضون قائمة في الفضاء كما يقول أولئك الفلكيون فى أرضنا وعدم رؤيتهم لها بنظاراتهم يمكن أن يكون بسبب

أنها مظلمة السطح لاتري كما أن القمر لايري عند المحاق ويمكن انهم يرونها بين الكواكب ويحسبونها من جملتها ولا غرابة فى ذلك على اصولهم فكثير منهم من يزعم أن فى الكواكب سكانا ويستدلون على ذلك بادلة ظنية تعلم من الاطلاع علي كتبهم فحيث قد تبين أن وجود سبع أرضين لامانع منه وقد أخبر به الصادق فنؤمن بوجودها ولانلتفت الي كلام هؤلاء الفلكيين الذين لاسند لهم فى انكارها ويسوغ لنا تفسيرها بكل من التفاسير المتقدمة حتي علي قول ابن عباس رضي الله تعالي عنه مع توجيهه بما قدمناه والله تعالى أعلم

وقد بقى نص فى القرآن الشريف ترد علي ظاهره الشبهة علي رأي الفلكيين المتقدمين والمتأخرين وهو قوله تعالى في قصة ذي القرنين (حتي اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة) فان ظاهره أن الشمس تغرب فى عين من عيون الارض وكان يجب علينا الايمان بمعناه الظاهر لكن قد قام الدليل العقلي القاطع من لدن المتقدمين علي أن الشمس أكبر من الارض بكثير ودخول الجسم الكبير في الصغير مع البقاء علي مقدارهما من المحال وقام الدليل القاطع أيضا علي أن الشمس لاتغرب فى نفس الأرض وعلى هذا فقد صرف علماء الاسلام هذا النص عن ظاهره الي غير ما يتبادر منه فقالوا يحتمل والله أعلم بمراده أنه تعالي أراد أن ذا القرنين لما بلغ ذلك المكان من بلاد المغرب وجد الشمس بحسب رؤية الرائي تغرب فى عين حمئة لأن الناظر الي الشمس فى سواحل البلاد الغربية يتخيل أن الشمس تغرب فى بحرها الغربى المحيط بها وذلك البحر كثير الحمأة السوداء والظلمة وذو سخونة وليس مراده أنها تغرب فى عين بالفعل ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل فاذا هى تغرب مثلا من العبارات التى تفيد حكاية واقع الأمر نصا وهكذا يقول الرجل منا انى من المكان الفلاني

وجدت الشمس تغرب في البحر أو خلف الجبل أو في الوادى والحال أن اعتقاده أنها لم تغرب فى واحد منها وإنما حكي صورة رؤيته يؤخذ هذا التأويل من الرازى والجلالين والكواشي كما نقله فى عجائب المخلوقات قال الرازي وما قاله أهل الاخبار من أن الشمس حقيقة تغرب فى العين كلام علي خلاف اليقين وكلام الله تعالي مبرأ عن هذه التهمة فلم يبق إلا أن يصار إلي التأويل والله تعالي أعلم

﴿ الفصل الثانى ﴾

(فى رد الشبه عن النصوص الواردة فى شؤون الملائكة والجن)

قد تقدم لنا فى الباب الثانى وجوب الايمان بالملائكة والآن نقول إنه قد وردت نصوص الشريعة متواترة أو مشهورة وأحاديث آحادية لكن لكثرتها وتعدد طرقها بلغ مايستفاد منها درجة التواتر يدل جميع ذلك على أن الله تعالى خلق اجساما لطيفة نورانيــة تسمي ملائكة قادرة علي التشكل بأي شكل أرادت وأنها تقطع المسافات التى بين السموات والارض في مدة قصيرة جــدا وأنها تمر أمامنا ولا نراها وأنها تفعــل أفعالا عظيمة تعجز عنها قوى البشر وانها موكلــة بحوادث هذا الكون كنزول الامطار وتدبير عالم الحيوان والنبات وغير ذلك وانه تعالي خلق أجساما أخرى تسمي جنا تشابه الملائكة المذكورين في بعض خواصها من نحو الاقتدار علي التشكل والاحتجاب عن الابصار والاقتدار علي أعمال عظيمة ولــكنها تخالفهم بأنها ليست نورانية مثلهم وأنها مكلفــة كالبشر فنهم المؤمن الطائع والعاصي والكافر وقد وردت شبه علي وجود الملائكة والجن وشؤونهم من نحو الاقتدار علي التشكل والاعمال الشاقة مع أنهم أجسام لطيفة وغير ذلك من بعض الفلاسفة المتقدمين وتبعهم المتأخرون ونقول فى بيان

رد تلك الشبهة واظهار أنها أوهام لاتقوم لدى الايمان بعظمة قدرة الله تعالى على ايجاد الملائكة والجن فى تلك الشؤون والاحوال

اعلم أنه من الممكن الجائز عقلا أن الله تعالى عظيم القدرة واسع العلم قد خلق الملائكة من مادة لطيفة كمادة الهواء أو الأثير الذي يقول به المتأخرون من انه مادة لطيفة جدا مالئة الكون لاترى وقد كونهم سبحانه من تلك المادة وجمع أجزاءهم بكيفية صالحة لتلك الخواص والشؤون التى ذكرناها لهم كما كون سبحانه الحيوان من العناصر الجمادية بكيفية أكسبته قبول الحياة وجميع قواها من الادراك والحركة وغير ذلك بعد أن لم يكن للعناصر شيء من ذلك ويحتمل حينئذ أن عدم رؤيتنا اياهم لشفافتهم ولطافتهم كالهواء والأثير على أن الأمر ظاهر جدا على ماثبت لدينا معشر المسلمين من أن الرؤية بمحض خلق الله تعالى فمن الممكن ان الله تعالى لايخلق رؤيتنا لهم عند مرورهم أمامنا ثم ان اقتدارهم على التشكل مع أنه جائز عقلا داخل تحت تصرف قدرة الله تعالى يمكن توجيهه وبيان كيفيته تقريبا بامكان للعقول أن الله تعالى كون تلك الأجسام على كيفية يقتدرون بها على تناول كمية من الهواء أو الأثير أو نظير ذلك وتكثيفها وتكوينها على الصورة التي يريدونها ثم يلبسونها كما يلبس الثوب فيظهرون للابصار بتلك الصور وفي الأعمال الكيماوية التى أقدر الله تعالى البشر عليها من تحويلات الأجسام الى بعضها كتحويل الكثيف لطيفا واللطيف كثيفا مايقرب فهم ماقررناه الى العقول وحيث إن تشكل تلك الأجسام كيفما كان هو مستند الى عظمة قدرة الله تعالى الذى تدهش أعماله الأفكار فيما أعطاه للحيوان والنبات من الخواص فلا غرابة فى ذلك وكل مؤمن بذلك الاله و بعظيم قدرته وواسع علمه لايستبعد حصول ما ذكر للملائكة

واما انهم يعملون اعمالا عظيمة تعجز عنها قوي البشر مع أنهم أجسام لطيفة فبعد النظر الي أعمال الرياح التى تقلع الأشجار العظيمة وتهدم الابنية الجسيمة وأعمال القوة الكهربائية التي تجر الأثقال التى يعجز عنها ألوف الرجال لانجد في نسبة تلك الأعمال للملائكة مع أنهم اجسام لطيفة شيئا من الغرابة لاسيما وان الذي يقدرهم على تلك الأعمال هو الله تعالي الذي لايعد ذلك بالنسبة الى عظيم قدرته شيئا صعبا واذا نظرنا الى أن بعض الناس يكسر بقوة ذراعه الحديد وما هي قوة ذراعه الا عمل أعصابه مع عضلاته التي تنتهي اخيرا الى مخه اللطيف النحيف الذي هو مبدأ حركة الاعضاء علي مايقوله أولئك الفلاسفة والمخ للطافته لايتحمل اذي مصادمة من جسم غريب بل صعود نقطة دم زائدة علي القدر اللازم له قد تفسده وتعدم صاحبه الحياة ظهر لنا أن الله تعالى قادر علي اعطاء اللطيف قوة لاتوجد في الصلب الكثيف سبحانه من قادر عليم واما ان الملائكة يقطعون المسافات الشاسعة بين الأجسام السماوية و بينها و بين الأرض بمدة قصيرة جدا فنقول

لامانع منه عقلا لان سرعة الحركة ليست محصورة بحد يسير فلينظر الي ماقاله اولئك الفلاسفة من أن الجسم الساقط الي الارض في اول ثانية من سقوطه تكون سرعته ستة عشر قدما واذا كان سقوطه الي الشمس تكون سرعته في تلك الثانية أربعمائة وخمسين قدما ثم ان الجسم يسقط في اي عدد كان من الثواني بعد الثانية الأولي مايساوي مقدار مايسقط في الثانية الأولي مضروبا في مربع ذلك لعدد من الثواني فبالتأمل في هذا الناموس يعلم ماتبلغه سرعة حركة الأجسام من العظمة التي يحتار فيها الفكر وكذلك عندهم في علم الهيئة ان نجم المشتري يجرى ثلاثين الف ميل في الساعة اي اسرع من كلة مدفع ثمانين مرة فيجري

تسعة أميال كلما تنفس الانسان وسرعة أجزائه الاستوائية فى دورانه علي محوره أربعمائة وسبعة وستون ميلا كل دقيقة ففى الساعة يقطع كل جزء من تلك الاجزاء سبعة وعشرين ألفا وتسعمائة وعشرين مرة والمشتري أكبر من أرضنا بألف وأربعمائة مرة علي مايقوله الفلكيون منهم فالذي جعل هذا الجسم الكثيف العظيم وكل جزء من أجزائه الاستوائية تقطع تلك المسافة الشاسعة فى تلك المدة الجزئية لايبعد علي قدرته أن يجعل الملك يقطع تلك المسافات بين السموات والارض في مدة قليلة جدا وان كانت هذه المسافات أكثر بكثير من المسافات التى يقطعها المشتري وأجزاؤه لكن النظر الصحيح في سير ذلك الكوكب يقنع العقل بأن قدرة الله الذي سيره ذلك السير صالحة لاعظم مايكون من جنس هذا العمل لاسيما وناموس الاجسام الساقطة قد بين عظم سرعة حركة الاجسام وان قيل ان سير المشترى هو بواسطة الجاذبية علي ماهو مفصل فى كتب أولئك القوم وكذلك سرعة الاجسام الساقطة قلنا وماهي تلك الجاذبية التي ينسبون اليها أعمالا عظيمة فى الكائنات وهم يعجزون عن الافصاح عن حقيقتها وعما هو الموجب لقيامها فى الاجسام وغاية مايكون منهم أنهم يقولون بها لتعليل الحوادث التى حيرت عقولهم من نحو النظام الشمسي أي دوران الكواكب حول الشمس وغيره و بعد تسليم ثبوتها نقول من الذي أوجدها وجعلها خاصة الأجسام أو أنشأ عنها تلك الحوادث العظيمة فى الكائنات أغير الاله الذي أبدع الخلق من العدم ووضعه علي أتم نظام وأسمي حكم فاذا كان ذلك الاله قادرا علي ايجاد مثل هذه الجاذبية واحداث حركات الاجسام السريعة عنها فلا يعجز أن يجعل الملك يقطع تلك المسافات في مدة وجيزة اما بخاصة وضعها فيه واما بغير خاصة فالكل جائز عقلا وقدرته صالحة لكلا الامرين

وليعلم أن جميع ماقررناه في حق الملائكة يقال مثله فى شأن الجن من القدرة على التشكل والاعمال العظيمة وقطعهم المسافات الطويلة فى برهة قليلة وعدم رؤيتنا لهم والاستدلال واحد لايخفي على الفطن الذكي والله تعالى أعلم

نقول ومن هذا المقام تبين لك اندفاع الشبهة التى ترد علي الاسراء والمعراج اللذين حصلا لسيدنا ﴿محمد﴾ صلى الله تعالي عليه وسلم والشبهة التى ترد علي انتقال عرش بلقيس من بلاد اليمن الي مجلس سليمان عليه السلام فى لمحة طرف أما الاسراء والمعراج فقد ورد فيالقرآن الشريف أن الله تعاليأسري بسيدنا ﴿محمد﴾ صلى الله تعالي عليه وسلم في ليلة واحدة من المسجد الحرام فىمكة الي المسجد الاقصي فىالقدس و ورد فىالاحاديثالصحيحة التي بلغت بكثرتها درجة القطع بثبوتها أن الله تعالي أصعده فى تلك الليلة الى السموات العلى ثم أعاده الي مكة فى نفس تلك الليلة قبل أن يطلع الفجر فيجب علينا الايمان بذلك حتى ان كثيرا من العلماء يذكرون الاسراء والمعراج فى جملة العقائد التي يجب الايمان بها وانما أخرنا ذكرهما الى هنا لبيان دفع الشبهة عنهما فىمناسبة هذا المقام فنقول حيث قدظهر هنا أن سرعة الحركة للاجسام مهما بلغتالقدر العظيم فهي من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالي فما المانع ان الله تعالى ينقل ذات سيدنا ﴿محمد﴾ صلي الله تعالي عليه وسلم فى ليلة واحدة من حرم مكة الي حرم القدس ثم الي السموات العلي ثم يعيده في تلك الليلة الي مكة فمن يؤمن بوجود الله تعاليويتبصر في أعماله في هذه الاكوان ويعتقد أن سيدنا ﴿محمدا﴾ رسوله وقد أخبرنا بأنه قد حصل له ذلك الانتقال السريع فيتلك المسافات وهو صادق معصوم عن الكذب لايتوقف بتصديق قصة الاسراء والمعراج ويؤمن بذلك من

دون تردد ولايجده الامن الامور الجائزة الداخلة تحت تصرف قدرة ذلك الا له العظيم وأما من لم يكن موءمنا بوجود الا له سبحانه وعظيم قدرته ولم يعتقد برسالة رسوله فهذا الصواب في حقه أولاأن يرشد الي الا يمان بالله تعالي ورسوله بواضح البرهان و بعد ذلك يسهل عليه تصديق نصوص الأحاديث والقرآن والله الموفق

وأما قصة مجيء عرش بلقيس من بلاد اليمن الي مجلس سليمان فى لمحة طرف فقد وردت هذه القصة فى القرآن الكريم وأنهاجرت علي يد من عنده علم من الكتاب فبعض المفسرين قال انه آصف بن برخيا وزير سيدنا سليمان عليه السلام فيكون مجيء ذلك العرش كرامة أظهرها الله تعالي على يده لانه من أولياء الله تعالي و بعضهم قال انه نفس سليمان عليه السلام فيكون ذلك معجزة أظهرها الله تعالي علي يديه اذهي أمر خارق للعادة ومن تأمل في هذا المقام وظهر لديه أن سرعة حركة الأجسام مهما بلغت فهي من الجائزات العقلية الداخلة تحت تصرف قدرة الله تعالى فلا يصعب عليه الايمان بهذه القصة والله علي كل شيء قدير

﴿ الفصل الثالث ﴾

(في رد الشبه عن بعض النصوص الشرعية الواردة فى الأمور الجوية كالمطر ونحوه)

اعلم أن الآيات الواردة في القرآن الشريف في شأن المطر هي علي قسمين منها ماظاهره أن المطر ينزل من السماء ومنها ماظاهره أنه ينزل من السحاب ثم ان السماء تطلق في اللغة العربية التي جاءت هذه الشريعة الاسلامية بها علي عدة معان كما فى قواميس تلك اللغة منها السماء التي هي مسكن الملائكة ومنها سقف

كل شيءُ وكل بيت ومنها كل ماعلا الشيءُ فهو سماؤه ومنها السحاب ومنها المطر
وبناء على ماتقدم من وجوب اعتمادنا على المعني الظاهر المتبادر من النص مالم يقم
دليل قاطع على خلافه علينا أن نعتقد المعني الظاهر المتبادر من لفظ السماء المذكور
في إنزال المطر وهو مسكن الملائكة كما هو المراد في كثير من الاستعمالات الشرعية
ونوفق بين النصوص التي ظاهرها نزول المطر من السماء والتي ظاهرها نزوله من
السحاب بأن الله تعالي ينزله من السماء علي البخارات المجتمعة في الجو المسماة
بالسحاب ثم ينزله منها الى الأرض فتارة تذكر النصوص محل نزوله الاول
وتارة تذكر محل نزوله الثاني والله أصدق القائلين . ونقل عن قطب العارفين
سيدنا السيد أحمد الرفاعي قدس سره العزيز في بيان هذا التوفيق أن المطر قسمان
مطر ينزل من السماء وهو الذي يكون بسببه خروج النبات ومطر يتكوّن
من بخارات الارض وبحارها ويتصاعد الى الجو ثم ينحدر من السحاب وهذا
لايكون به الانبات وان كان له حكم ومنافع الله أعلم بها ثم اذا ثبت بالدليل
العقلي القاطع مايقوله الفلاسفة المتقدمون والمتأخرون من أن المطر ليس الا من
بخارات الارض وبحارها يتصاعد الي الجو بسبب الحرارة ثم ينعقد بسبب البرد
سحابا ثم يتحلل مطرا وتحقق ذلك بدون ريب ساغ لنا حينئذ علي موجب
القاعدة المتقدمة أن نؤول النصوص التي يتبادر منها أن المطر ينزل من السماء
التي هي مسكن الملائكة بأن المراد بالسماء في هذه النصوص هي ماعلانا وصار
سقفا لنا وهو السحاب كما هو أحد معانيها اللغوية وقد ذكر هذا التأويل الامام
الرازي في تفسير سورة البقرة وأشار اليه الشيخ الشرنبلالي في شرح مراقي
الفلاح أو أن يقال انه لما كان نزول المطر باسباب سماوية من جملتها حرارة
الشمس المرسلة أشعتها الينا من جهة السماء فتثير وتصعد الاجزاء المائية من

أعماق الارض ومن البحار والانهار الي جوّ الهـواء فينعقد سحابا فيمطر كأن الانزال من السحاب حقيقة ومن السماء مجازا باعتبار السببية والله مسبب الاسباب وقد ذكر هذا التأويل الشيخ اسماعيل حقي فى تفسير سورة النبأ وعلى كل فقد اندفعت الشبهة و وافقت النصوص الشرعية حكم العقل والله تعالي أعلم وان قيل ماحقيقة الرعد والبرق والصاعقة فان الفلاسفة المتأخرين يقولون إنها ناشئة عن عمل القوة الكهربائية المتكونة فى السحاب وأقاموا علي ذلك فى كتبهم الدلائل من نوع قياس الغائب علي الشاهد . قلنا اختلف علماء الاسلام المتقدمون في ذلك فقال بعضهم الرعد ملك موكل بالسحاب يسوقه حيث شاء الله تعالى والصوت المسموع صوته و يسمي رعدا أيضا و بيده مخاريق من نار يسوق بها السحاب والبرق ماينقدح من تلك المخاريق واذا اشتد غضبه طارت من فمه نار هي الصاعقة واستند أصحاب هذا القول الى حديث آحادي ر وي في ذلك وقال بعضهم ان الرعد خلق من خلق الله تعالى ليس بملك و روي هذا عن الحسن أي البصري . وقال بعضهم ان الرعد والبرق والصاعقة تتولد من اضطراب أجرام السحاب واصطكاكها فينشأ هذا الصوت المسمي رعدا وينقدح ذلك اللمع المسمي برقا والصاعقة قصفة رعد هائلة معها نار لا تأتي علي شئ الا أتت عليه بالهلاك . وعبر البيضاوى عن هذا القول بأنه المشهور ولعله مراده المشهور بين علماء المعقول . إذا تقرر هذا فاعلم أن اختلاف العلماء في هذه الاشياء دليل على أن الحديث الذي استند اليه أصحاب القول الاول لم يصح عند الفريق الثانى الذين خالفوهم والا لما قالوا بغير مضمونه فيكون اعتقاد مضمون القول الاول ليس واجبا علينا كبقية العقائد الاسلامية إذ ليس النص الذي استند اليه من النصوص الثا[بت] ورودها عن الرسول قطعيا كالمتواتر والمشهور لكن الصواب عدم مخالفة ا.

وان كان آحاديا واذا لم يقم دليل قاطع على ثبوت خلافه فجميع ما ذكر فيه هو من الجائز العقلي الداخل تحت تصرف قدرة الله تعالي فما المانع أن يكون الله تعالى عظيم القدرة قد خلق ذلك الملك ووكله بتدبير أمر السحاب والامطار وينشأ عنه تلك الحوادث من الصوت العظيم والبرق والصاعقة وأما إذا ثبت بالدليل العقلي القاطع أن تلك الحوادث الثلاث انما هي من فعل الكهرباء فلنا حينئذ تأويل نص ذلك الحديث الآحادي فنقول

لامانع أن الله تعالى قدخلق ملكاووكله فى تدبيرشؤون الامطار وتلك الحوادث الناشئة عن القوة الكهربائية التى لابد فيها من حكم باهرة انما مبدؤها تدبير ذلك الملك وتصرفه فى السحاب فاراد بالحديث افادة أن شؤون المطر وتلك الحوادث مرجعها ذلك الملك مع تمثيل وتصوير عظمته فعبر عن الرعد بصوته والبرق بلمعان مخاريقه والصاعقة بشرارة فمه والمراد من جميع ذلك التمثيل والتصوير وهذا الاسلوب مستعمل في اللغة العربية يفهم أصحابها ماهو المقصود منه وورد نظيره فى استعمالات الشرع الشريف . فمما ورد فى كلام أهل اللغة العربية منه قول بعضهم يمدح رجلا

إن السماحة والمروءة والندي * في قبة ضربت علي ابن الحشرج

فانه من المعلوم أن السماحة والمروءة والندي هي معان لايمكن أن توضع فى قبة مع الممدوح وانما المراد تمثيل وتصوير ملازمة ذلك الممدوح تلك الصفات الكريمة حتى كأنما ضربت عليها وعليه قبة . ومما ورد في استعمال الشرع الشريف قوله تعالى (والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) فأنه قد يؤول بأن المراد منه تمثيل وتصوير عظمة وقدرته وعظمة سلطانه والا فهو سبحانه ليس مشابها للحوادث ويستحيل

ملاصقته لها بأن يقبض علي الارض ويأخذ السموات بيمينه سبحانه وبهذا يتضح التوفيق بين ذلك الحديث الآحادي وبين مافرض ثبوته بالدليل القاطع من كلام الفلاسفة المتأخرين والله تعالي أعلم

فان قيل قد ورد في القرآن الشريف مايفيد أن الله تعالي جعل الكواكب زينة السماء الدنيا وجعلها حفظا من الشياطين ورجوما لهم لانهم يصعدون الى قرب السماء لاستراق السمع من الملائكة ومن المعلوم أن الفلكيين يقولون بكبر كثير من الكواكب حتى أن منها ماهو أكبر من الارض بمرات . وورد أيضا في بعض الآثار مايدل على كبر البعض منها ولو رجمت الشياطين بهذه الكواكب الكبيرة لسقطت علي الأرض وأضرتها ولكان يظهر النقص في الكواكب المرئية لنا على طول الزمان. قلنا ليس المراد من النص القرآني أن نفس الكواكب الكبيرة تكون رجوما حتى يلزم ذلك بل المراد كما قال الامام الرازي في تفسير سورة الصافات وتفسير سورة الملك أن تنفصل شعل من الكواكب نرجم بها الشياطين وهى الشهب التي نراها منقضة من جهة السماء أو أن الكواكب قسمان قسم منها الكبير الثابت الذي لايتغير ولاينقض وقسم منها الصغير الذي ينقض ويكون رجما للشياطين وهى هذه الشهب التى نراها منقضة . فان قيل ان الفلكيين المتأخرين يقولون ان الشهب أجسام صغيرة سابحة في الفضاء تنجذب أحيانا الي الارض عند قربها منها وتنقض ملتهبة من سرعة الحركة. قلنا لم يقل النص القرآني أن كل شهاب فهو رجم للشياطين بل مفاده ان الكواكب رجوم للشياطين فى الجملة فما المانع أن الله تعالي خلق تلك الاجسام وأقامها فى الفضاء وهي من جملة الكواكب ولكنها صغيرة فتارة تنقض الى جهة الارض بسبب جذب الارض لها عند قربها منها وتارة يرسلها الله شهبا علي الشياطين المسترقين

للسمع فقدظهر مصداق النص القرآني أن الله تعالى جعل النجوم زينة ورجوما فالزينة بكبارها والرجوم ببعض صغارها فالفلكيون ما علموا غير مادلتهم عليه أرصادهم ونحن قد علمنا أن من الكواكب مايكون رجوما للشياطين وهو بعض تلك الاجسام الصغيرة وثبت عندنا ذلك باخبار القرآن الشريف الصادق ولا اشكال في ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم

فان قيل اذا ثبت مايقوله الفلكيون من أن الارض كرة قائمة في الفضاء ليست مركوزة علي شيء فما يقولون فى الاثر المروي عن بعض الصحابة رضي الله تعالي عنهم انه سئل سيدنا عيسي عليه السلام عن الارض فقال انها على ثور والثور على صخرة والصخرة علي ظهر الحوت والحوت في بحر والبحر علي الريح وتحت الريح ظلمة. قلنا هذا الاثر ولوفرض نقله حديثا ليس آية قرآنية ولا حديثا متواترا ولا مشهورا حتى يجب علينا الايمان به كبقية العقائد الاسلامية لعدم اليقين بثبوته وعلى فرض ثبوته عن سيدنا عيسي عليه السلام فيمكن تأويله بكونه من ضرب الامثال وكثيرا ماترد الرموز وضرب الامثال فى كلام سيدنا عيسى عليه السلام كما يعلم ذلك من تتبع المنقول عنه والله أعلم

﴿ الفصل الرابع فى رد شبه شتي عن نصوص شرعية ﴾

إعلم أنه قد ورد في القرآن الشريف مايفيد أن الله تعالي خلق آدم أبا البشر عليه السلام ابتداء من طين بدون أب ولا أم وورد أنه سبحانه خلق زوجته حواء منه وقال بعض المفسرين ان المعنى أنه خلقها من جنسه ونوعه كما قال تعالي (وخلق لكم من أنفسكم أزواجا) وقال أكثر المفسرين إنه خلق حواء من ضلع من أضلاعه اليسري واستندوا في ذلك الى حديث آحادي وزدفي ذلك وورد في القرآن أيضا أن الله تعالي خلق سيدنا عيسى عليه السلام من السيدة مريم رضي الله تعالي

عنهامن دون أب قال علماء الاسلام إن في خلق هؤلاء المذكورين بهذه الطرق مع
خلق بقية البشر علي الطريق المعتاد إشارة من الحق تعالى للعباد علي تمام قدرته بخلق
الانسان علي أي كيفية أراد فخلق آدم بدون ذكر وأنثي وخلق حواء من ذكر وخلق
عيسي عليه السلام من أنثي وخلق بقية البشر ذكورا و إناثا من ذكر وانثي ومن
يؤمن بوجود الله تعالي و بكمال قدرته ويتصور ما أبدعه من الحيوانات والنباتات من
التراب لا يصعب عليه الايمان بخلق آدم وحواء وعيسي بالكيفات المذكورة إذ لا
دليل علي استحالة شيء من ذلك وقد أخبر به الصادق وما يقوله بعض المتأخرين من
الفلاسفة في حق الانسان وبقية الحيوانات من أنها تولدت من عناصر الارض ثم
اشتق بعضها من بعض بتفاصيل مستطيلة و يسمون قولهم هذا مذهب النشو فهو
قول مبنى على الظنون والاوهام لا مستند له في باب اليقين كما أوضحت ذلك في
الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الاسلامية فلينظر هناك فلا داعي لنا الي تأويل
النص الوارد في خلق آدم من تراب كما يعلم من القاعدة التي تقدم تقريرها من أنه
لا يسوغ لنا تأويل النص الشرعي الا اذا قام الدليل القاطع علي ما يناقض المعني المتبادر
منه وعلي فرض قيام الدليل القاطع على ما يقوله هؤلاء الفلاسفة فيمكن تأويل هذا
النص فى خلق آدم وحواء بتأويلات مناسبة كما بينته في الرسالة الحميدية أيضا
فارجع اليه وأما من لم يكن مؤمنا بالله تعالى وعظيم قدرته فهذا الصواب فى حقه كما
تقدم مرارا اقامة الشواهد له حتي يصير مؤمنا بالله تعالي و بعد ذلك يتضح له
صدق تلك النصوص والله أعلم

كذلك قد ورد في القرآن الشريف في قصة اهل الكهف ما يفيد أنهم لبثوا في كهفهم
ثلاثمائة وتسع سنين وجاء شرح قصتهم فى الاحاديث الشريفة أنهم أشخاص
مؤمنون علي دين سيدنا عيسي الصحيح خافوا من اجبار ملكهم لهم علي الكفر

وعبادة الاوثان فاختبوا في ذلك الكهف وأرسل الله عليهم النوم وحفظ حياتهم تلك المدة ثم بعد يقظتهم عادوا فناموا وسدعليهم القوم الذين اطلعوا عليهم باب الكهف فهذا الحال من الجائزات العقلية اذ لامانع من أن الله تعالى يحفظ حياة النائم سنين عديدة فان الغذاء ماهو الا سبب عادي فى حفظ الحياة والله تعالي قادر علي حفظها بدون الغذاء وقد يوجد فى الحيوانات لاسيما من نوع الحياة ماينام تحت التراب مدة الشتاء لايأكل ولايشرب ويحفظ الله تعالى عليه حياته تلك المدة وكذلك قال بعض الباحثين عن طبقات الارض إن بعض الحيوانات الصغيرة قد تخمد تحت التراب ألوفا من السنين وهي محفوظة الحياة واستشهد علي ذلك ببعض ماا كتشفوه ولايلزم من وجود أهل الكهف الآن أن يطلع عليهم الباحثون عن الآثار القديمة فكم من البقاع لم يصلوا اليها ولم تطأها أقدامهم ولم يرحديث صحيح بتعيين مكانهم والله تعالي أعلم

وكذلك قدورد في نصوص القرآن الشريف وفي أحاديث كثيرة مايدل علي أن الرؤيا المنامية قد تدل على أمور تحدث في اليقظة اما صراحة وإما بنوع اشارة تحتاج للتفسير قال العلماء ان الرؤيا المنامية هى تصورات فكرية تحدث في ذهن النائم على أنواع . منها ماسببه بخارات الطعام . ومنها ماسببه تفكر الانسان في أشياء حالة اليقظة فيراها أو يري مايناسبها فى حالة النوم . ومنها ماسببه من الشيطان لأجل غرور الناس أوادخال الحزن عليه أو نحو ذلك من مقاصده الخبيثة . ومنها مايكون من جانب الله تعالى تبشيرا للعباد أوتحذيرا او غير ذلك إما صراحة وإما إشارة وهذا القسم بنوعيه هو الذي ورد في الشريعة أنه جزء من الوحي وكل هذه الاقسام جائزة لاتستلزم محالا عقليا وللقسم الاخير شواهد كثيرة تنقل في التواريخ القديمة الى هذا الزمان ونظن أنه قل أن يخلو شخص من حصول شي له من ذلك

في مدة عمره ولكن يوجد في فلاسفة هذا العصر من ينكر هذا النوع الاخير من
الرؤيا وينكر دلالتها علي شيء في اليقظة بدون دليل منه علي استحالته أو عدم
وجوده واذا نقل اليه بعض الشواهد التي حدثت لبعض الناس من هذا النوع
يؤول ذلك الشاهد بتأويلات واهية سخيفة فالذي نعتقده ان دلالة هذا النوع
من الرؤيا علي أمور تحدث في اليقظة هو أمر جائز عقلا وقد أخبرت بوقوعه نصوص
الشريعة فنؤمن به ونصدق كذلك قد ورد في بعض النصوص القرآنية
والاحاديث النبوية مايفيد أن للسحر حقيقة وآثارا في الخارج. قال العلماء إن من
السحر مايوجد له حقيقة وآثار في الخارج مثل قلب بعض صور الحيوان الي
صورة أخرى وقتل الحيوان والاضرار ببعض الاجساد وذلك ناشئ إما عن
خاصية في نفس الساحر خصه الله تعالي بها أو عن استعمال الساحر بعض الرقي
والعزائم ولكن كل مايحدث من آثار ذلك في الخارج فهو بمحض خلق الله تعالي
وتلك الخاصية في الساحر واستعماله بعض الرقي والعزائم ماهو الا من الاسباب
العادية التي جرت عادة الله تعالي في احداث مسبباتها عندها وليس الساحر خالقا
لشيء من تلك الآثار ومن السحر مالا أثر له في الخارج حقيقة وانما يحدث عنه في نظر
الرائي وفكره صور وهمية متخيلة يظن الرائي أن لها وجودا في الخارج والحال
ليس كذلك وتلك الصور الخيالية تحدث إما بواسطة أعمال كيماوية او باستعمال
النواميس الطبيعية كنواميس النور فيري الانسان اثرا في الخارج لاحقيقة له
فيه واما بوسائط اخري كسرعة العمل وغير ذلك . قال اهل السنة والجماعة لامانع
أن الله تعالي يوجد في بعض النفوس خاصة التأثير بالاجسام وقلب صورها
واحداث الاضرار ونحو ذلك أو يحدث ذلك عند استعمال بعض الرقي والعزائم ولكن
كل ذلك بخلق الله تعالي وجعله تلك الخاصة والرقي والعزائم اسبابا عادية تحدث

عندها تلك الآثار كالامانع من خلق الله تعالي تلك الصور الخالية المتوهمة التي لا حقيقة لها فى الخارج عند استعمال بعض النواميس التي تنشأ تلك الصور عنها وان قيل لو جوزنا وقوع السحر يلزم اشتباه الساحر بالرسول الذي يأتي بالمعجزة . قلنا ان الرسول يدعي الرسالة من عند الله تعالى ويصدقه الله تعالي باظهار المعجزة علي يديه والساحر لايدعى الرسالة وان أراد ادعاءها فمن حكمة الله تعالي أن لا يظهر الامر الخارق للعادة علي يديه أو أنه ان ادعي الرسالة كان من حكمة الله تعالى أن يطلع بعض من يدعي بينهم علي حقيقة أعماله السحرية فلايلتبس عليهم الحال بالمعجزة كما قال الرازي فى حكمة تعليم الملكين الناس السحر وقد نقلناه فيما تقدم فذا يكون الفارق بين المعجزة والسحر . فان قيل إن الفلاسفة المتأخرين أنكروا وجود السحر من النوع الاول وهو أن يكون علي يد الساحر ظهور بعض الحقائق من قلب الصور والاضرار بالغير بواسطة خاصية بنفسه أو استعمال بعض الرقي والعزائم واحتجوا علي ذلك بأنه لا يظهر في العقل ارتباط بين تلك الوسائط وظهور تلك الحقائق في الخارج وبأن في جميع ما اكتشفناه من حقيقة حال السحرة فى هذا الزمان أن جميع مايظهر علي أيديهم هي صور وخيالات لاحقيقة لها في الخارج وهى تحدث علي أيديهم بواسطة استعمال بعض النواميس أو بواسطة خفة اليد وسرعة العمل وكثير من السحرة من أقر بأن مايظهره للعيان ماهو الاصور خيالية لا حقيقة لها . قلنا انامعشر أهل السنة نقول ان عدم ظهور ارتباط بين تلك الوسائط وهي خاصية النفس واستعمال الرقي والعزائم وبين ظهور تلك الحقائق في الخارج لايلزم منه عدم وجوده في نفس الامر فربما يكون ذلك الارتباط موجودا وهم لم يطلعوا عليه لاسيما وأمر السحر شيء خفي ووجود السحرة قليل وفي أزمنة متباعدة وهذا المغناطيس لاشك أنه يجذب الحديد ومع ذلك لم يطلع هؤلاء القوم

على حقيقة السبب الذي به توجد هذه الخاصية ولم كان يجذب الحديد دون غيره غاية مايقولونه ان تركيب أجزاء المغناطيس تقتضي ذلك وهذا ادعاء لسبب مجمل غير واضح ولا مقنع للعقل فيه على أننا نقول ان وجود تلك الحقائق على يد الساحر بمحض خلق الله تعالي وهذا لامانع منه سواء كان هناك سبب موجب أو لم يكن وأما قولهم إننا في جميع ما ا كتشفناه من حقيقة حال السحرة في هذا الزمان قد اتضح لدينا أن جميع مايظهر علي أيديهم منه هي صور وخيالات لاحقيقة لها في الخارج فنقول أولا لا نسلم أنهم اطلعوا علي أحوال كل ساحر في هذا الزمان وثانيا لا مانع أن يكون النوع الاول من السحر قد فقد من العالم كما فقدت عدة علوم و بقي النوع الثاني فقط الذى اطلعوا عليه ونحن لانقول بوجود النوع الاول دائما حتى في هذا الزمان بل في نفس الامر هو عزيز الوجود ولا يوجد صاحبه الا في أزمنة متطاولة فالملخص أننا معشر أهل السنة نقول بوجود السحر لاسيما في الازمنة الغابرة كما جاءت بذلك النصوص و بأن أثره بمحض خلق الله تعالي وان لم نطلع علي وجود شئ منه في هذا الزمان والله أعلم

كذلك قد ورد فى بعض الاحاديث الآحادية أن لبعض الأعين تأثيرا في سقم بعض الاجسام واضرارها وحمل عليه بعض المفسرين تفسير بعض الآيات وقد أنكر هذا بعض الفلاسفة المتأخرين والمتقدمين قالوا كيف يعقل أن العين تعمل من بعد وتؤثر في الأجسام بالأسقام والاضرار ونحن نقول ان ذلك من الجائزات العقلية وحقيقة ذلك التأثير بخلق الله تعالى والعين سبب عادى واذا أريد بيان ذلك التأثير عقلا فنقول ان الناس مختلفون في خواصهم كما يكون الاختلاف بين أصناف الحيوانات فما المانع من أن يكون في الناس ذو طبيعة في نفسه ذات سم وضرر فاذا نظر شيأ بعينه وأعجبه وتوجه بنفسه اليه انفصل

من عينه في الهواء مادةسامة اذا وصلت الي المرئي ضرت بهواي مانع من انفصال مادة من العين عند الانفعالات النفسية كما تنفصل منها الدموع عند ذلك وقد قال بعض المتكلمين علي خواص الحيوانات ان من الافاعي ما ينظر الي الانسان فيموت بنظره وما يصوت فيموت السامع بصوته واذا صح هذا فتلك الافعى لم يكن قتلها من بعد الا بواسطة سم ينفصل عنها و يصل الي الانسان ومن نظر الي المغناطيس وتأثيره بالحديد من بعد لا يستغرب تأثير العين في الاجسام من بعد وهذا الذي ذكره من تأثير العين في سقم الاجسام واضرار ها هو الذي ثبت فى الاحاديث وأماما ينقل من أن العين تهدم المبانى العظيمة وتشق الجبال الكبيرة وأمثال ذلك فهو شيء منقول في القصص والاخبار الشائعة بين الناس واذا لم يصح فى نقول الشريعة الصحيحة فلا يعتمد عليه . والملخص أنا نقول بجواز تأثير العين فى الاجسام بالاسقام والاضرار و وجود ذلك بخلق الله تعالي لورود النص بذلك ولا مانع منه عقلا ولا يستلزم محالا والله تعالي أعلم

وكذلك قد ورد النص فى بعض الاحاديث الآحادية أن الطاعون من وخز الجن والذي يقوله الاطباء ان مرض الطاعون من فساد الدم الناشيء من فساد الهواء فنقول

اذا تحقق ما يقوله الاطباء يمكن أن يقال ان السبب الاصلي فى الطاعون هو تسليط الله تعالى الجن علي بنى آدم بافساد هوائهم ودمهم فيتولد عن ذلك تلك الغدد الطاعونية فالنص الشرعي أخبر بالسبب الاصلي وكنى عنه بوخز الجن والاطباء اطلعوا على السبب الأخير فقالوا بما اطلعوا عليه ولا اشكال في ذلك والله أعلم

وان قيل قد جاء في حديث آحادي انه عليه السلام قال لايوردن ذو عاهة علي مصح وقال فر من المجذوم فرارك من الاسد وجاء فى حديث آخر أنه عليه

السلام قال لا عدوي فما التوفيق بينهما. قلنا من المعلوم أن اعتقاد أهل الاسلام أنه لا تأثير لشيء بطبعه بل كل أثر فهو بخلق الله تعالي وانما قد أوجد الله أسبابا عادية للآثار والله قادر علي تخلف تلك الآثار عن أسبابها وان العمر محتوم لا يزيد ولا ينقص ولا يصيب الانسان الا ماقدر عليه فلا يجوز للانسان أن يعتقد أن المرض الفلاني يؤثر بطبعه ويعدى غيرصاحبه وأن الانسان قد يعدي بالمرض ويموت قبل أجله الذي قدره الله له . اذا تقرر ذلك فنقول يمكن والله أعلم بمراد رسوله أن المراد من قوله عليه الصلاة والسلام لا عدوي أنه لا يجوز اعتقاد العدوي بتأثير الامراض بطبعها واماتة الانسان قبل أجله ولكن قد توجد فى بعض الامراض مثل الجذام والجدري والسل وأمثال ذلك رائحة كريهة ومادة سامة تنفصل من صاحبها ربما تكون سببا عاديا لحدوث المرض في من يخالطه ويقاربه فيمكن حينئذ والله أعلم أن يكون هذا هو المعني الذي أشار اليه صلي الله عليه وسلم بقوله لا يوردن ذو عاهة على مصح وقوله فر من المجذوم فرارك من الاسد فكما أن شدة البرد وشدة الحرارة والتخمة وأمثال ذلك تكون سببا للمرض كذلك تلك الرائحة الخبيثة والمادة السامة التى تنفصل من المريض قد تكون سببا عاديا لمرض الصحيح المخالط له فاذا تجنب المرء أصحاب تلك الامراض تحاشيا عن الاسباب العادية مع اعتقاده أن تلك الامراض ليست مؤثرة بطبعها وأن تحاشيه لا يكون مانعا لقدر الله تعالي ولا مطيلا له عمرا فلا مانع من ذلك التحاشي مع مراعاة تلك الشروط لصحة الاعتقاد وقد قال صلي الله تعالي عليه وسلم في الطاعون اذا كان في البلد الذي أنتم فيه فلا تخرجوا منه وقال أيضا اذا كان في بلد فلا تدخلوه قال بعض العلماء يريد بقوله لا تخرجوا منه اذا كان فيه كانكم تظنون أن الفرار من قدر الله ينجيكم ويريد بقوله واذا

كان في بلد فلا تدخلوه ان مقامكم فى البلد الذي لا طاعون فيه أسكن لانفسكم وأطيب لعيشكم ومع ذلك لامانع للانسان أن يخالط أصحاب الامراض اتكالا على الله وثقة به تعالي لان حصول الضرر بمخالطتهم غير مقطوع به وقد ورد أنه عليه الصلاة والسلام أكل مع مجذوم فى اناء واحد وقال ثقة بالله فبالتأمل فى هذا المقام يظهر التوفيق بين الاحاديث الشريفة ويعلم اعتقاد المسلمين في مسئلة العدوي والله تعالى أعلم

وان قيل قد وردفى حديث آحادي مامفاده أن الله تعالى قدجعل ملكا موكلا بعروق الارض فاذا أرادالله زلزلة جهة من الارض أمر ذلك الملك فحرك عرق تلك الجهة فتحدث فيها الزلزلة

الفلاسفة يقولون ان الزلزلة تحدث من احتباس أبخرة أو مياه في جوف الارض فتنضغط بالحرارة وليس لها منفذ الى ظاهر الارض فيحدث عنها تلك الحركة العنيفةالمسماة بالزلزلة. قلنا الذى ورد في الحديث لا مانع منه عقلا ولكن اذا ثبت بالدليل القاطع ما يقوله الفلاسفة يمكن تأويل ذلك الحديث بان الله تعالى جعل ذلك الملك موكلا بتدبير الابخرة والمياه التي فى جوف الأرض وقد كني فى الحديث عن ذلك بأنه موكل بعروق الارض فاذا أراد الله تعالى زلزلة جهة أمرذلك الملك فسلط الابخرة والمياه وضغطها بالحرارة فى جوف تلك الجهة فتحصل الزلزلة فعبر عن ذلك فى الحديث بأنه يحرك عرق تلك الجهة ولا مانع من الكناية لصعوبة الفهم على العامة أن الابخرة تحرك الارض العظيمة والله تعالى أعلم

ان قيل قد توجد آثار فى بعض الكتب فى كبر أجسام المتقدمين تحتوي علي مبالغات يستبعدها العقل وهي وان لم تكن مستحيلة عقلا لكن قد اكتشف

الباحثون عن الآثار الارضية على أجسام محنطة من تاريخ أربعة آلاف سنة فوجدوها مثل أجسام أهل هذا الزمان فما تقولون في ذلك .قلنا ان الذى ثبت فى هذا الباب أن الله تعالي ذكر من قبلنا فقال (كانوا أشد منكم قوة) وقال عن طالوت (وزاده بسطة فى العلم والجسم) وقال في تقريع بعض المتقدمين (واذا بطشتم بطشتم جبارين) وكل ذلك لا إشكال فيه ولا يعارضه اكتشاف ولا غيره وأما ماشاع من قصة عوج بن عنق والمبالغة في كبر جسمه وكذلك ماينقل ان آدم عليه السلام كان رأسه يصل السحاب والسماء يحاكها فاعتراه الصلع من ذلك فقد قال الامام ابن قتيبة في شرح الاحاديث المشكلة ان هذا شيء لم يأت به كتاب ولا ثقة وليس له اسناد .وقال الامام ابن فورك في شرح الاحاديث المتشابهة عن الروايات في طول آدم وقامته انها مما لا يوثق به اذ ليس في ذلك خبر صحيح ولم يثبت أنه قد كانت خلقة آدم على خلاف هذه الخلقة عن الحد الزائد الذي يخرج عن المعهود من متعارف خلق البشر تقول لكن يعارض كلام ابن فورك ماجاء فى حديث البخاري الصحيح من أن طول آدم كان ستين ذراعا وانه لم يزل الخلق ينقص حتى الآن فالتحقيق انه علي فرض ثبوت أحاديث في كبر أجسام المتقدمين فيمكن جعلها علي انهم كانوا اكبر أجساما من أهل هذه الازمنة بما هو خال عن المبالغة كالستين ذراعا في خلق آدم وأنه من المحتمل أن الاجسام أخذت تصغر في أزمنة متطاولة لاسباب عادية حتى بلغت مقدار هذه الاجسام المعروفة الآن والذي اكتشفه الباحثون عن الآثار الارضية انما هو أجسام وجدت بعد أن وصلت الاجسام في الصغر الي هذا القدر وماتفيده الاحاديث التي فرض صحتها هو في أجسام أهل أزمنة قديمة جدا ومثل هذا يقال في طول أعمار المتقدمين فانه قد ورد فى القرآن ان نوحا لبث فى قومه ألف سنة الا خمسين عاما وورد في

الاحاديث أن آدم عليه السلام عاش ألف سنة وهذا أمر ممكن عقلا لا استحالة فيه ومن الجائز أن أعمار البشر كانت تطول ثم أخذت تتناقص كما تناقصت أجسامهم حتى بلغت هذا الحد المعلوم والله تعالى أعلم

﴿ الخاتمة ﴾

(نسأل الله حسن الخاتمة)

إعلم أنه يجب علي المسلمين شرعا نصب امام يقوم باقامة الحدود وسد الثغور وتجهيز الجيوش وأخذ الصدقات وقهر المتغلبة والمتلصصة وقطاع الطريق وتزويج الصغار والصغائر الذين لا أولياء لهم وقطع المنازعات الواقعة بين العباد وقبول الشهادات القائمة علي الحقوق وإقامة الجمع والاعياد ولا يتم جميع ذلك بين المسلمين الا بامام يرجعون اليه في امورهم يدرأ المفاسد ويحفظ المصالح ويمنع مما تسارع الطباع وتتنازع عليه الاطماع يعول الناس عليه ويصدرون عن رأيه علي مقتضي أمره ونهيه وقد أجمعت الصحابة رضي الله تعالي عنهم على نصب الامام بعد وفاته عليه الصلاة والسلام . وقال أبو بكر رضي الله تعالي عنه لا بد لهذا الامر ممن يقوم به فانظروا وهاتوا آراءكم فقالوا من كل جانب صدقت صدقت ولم يقل أحد منهم لاحاجة بنا الي إمام ويجب طاعة الامام علي جميع الرعايا ظاهرا وباطنا فيما لا يخالف الشرع الشريف لقوله تعالي (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) وهم العلماء والأمراء ولقوله عليه الصلاة والسلام من أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصي أميري فقد عصاني وفى صحيح البخاري عن النبي صلي الله عليه وسلم من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد أطاعني وانما الامام جنة يقاتل من ورائه ويتقي به ومما ينبغي نصرة الامام علي أعداء الدين والمفسدين ومحبته ونصحه والدعاء له

بالصلاح والتوفيق والرشاد والنصر والسداد فان فى صلاحه صلاح الامـة وقد قال بعض السلف ما معناه لو أعطيت من الله دعوة صالحـة لجعلتها فى الخليفة نسألك اللهم ونتوسل اليك بعظمة ذاتك العلية ، وصفاتك السمية . و بأسمائك السنية . و بروحانية سـيدنا محمد خير البرية . أن تحفظ وتنصر وتؤيد وتوفق حضرة مولانا أمير المؤمنين. وخليفة رسول رب العالمين . مولانا السلطان الاعظم والخاقان الافخم . سلطان سلاطين العرب والعجم . وظل الله على صنوف الامم السلطان ابن السلطان السلطان الغازي عبد الحميد خان ابن السلطان الغازي عبد المجيد خان ابن السلطان الغازي محمود خان أيد الله خلافتـه الى آخر الدوران فهو الحامي حوزة الملك والدين والناهض بهـذه الامة الي أسمي شرف مكين وان من حسنات عصره السعيد . جمع هذا الـكتاب المفيد ، المسمى (با لحصون الحميـدية لمحافظة العقائد الاسـلامية) . اذ هو طبق رضائه العالى . وأثر احسانه المتوالي ، جعله الله تعالى خالصا لوجهه الكريم . و وسيلة للفوز بجنات النعيم . اللهم آمين وصلى الله تعالي وسلم علي سيدنا محمد وعلى آله واصحابه الطيبين الطاهرين والحمد لله رب العالمين

آمين

بعونه تعالى قد تم طبع هذا الكتاب الجليل. الذى ليس له في حسنه مثيل . على نفقة ملتزمه الفاضل النحرير . حضرة الاستاذ الشيخ (أحمد علي المليجى) الكتبي الشهير . بلغه الله مراده . ونفع به في الدارين عباده . وذلك فى شهر ذي القعدة سنة ١٣٢٨ هجريه . على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحيه

م

﴿ فهرست كتاب الحصون الحميديه لمحافظة العقائد الاسلاميه ﴾

صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفه

﴿تمت الفهرست﴾


Bibliotheca Alexandrina
04432480